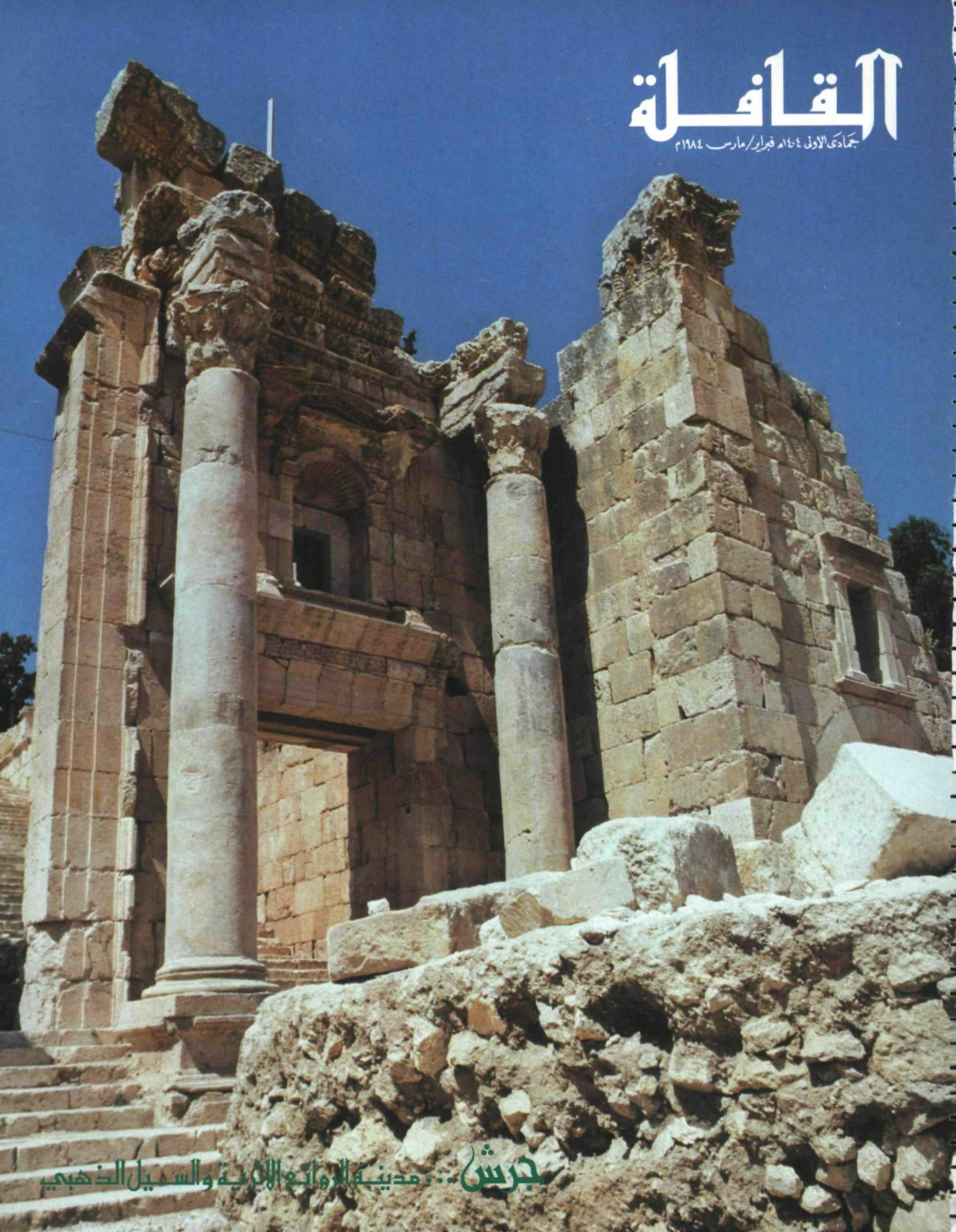


القافلة
جمادى الأولى ١٤٠٤هـ فبراير/مارس ١٩٨٤م
جرش... مدينة الروائع الأثرية والسهيل الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
THE CARAVAN

العدد الخامس / المجلد الثاني والثلاثون

جمادى الأولى ١٤٠٤هـ فبراير/مارس ١٩٨٤م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام
المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد : عوني أبو كشك

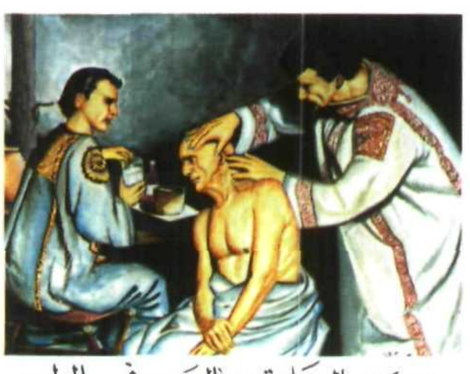
صورة الغلاف:

أعمدة ضخمة يتجلى فيها فن الهندسة المعمارية الروماني.

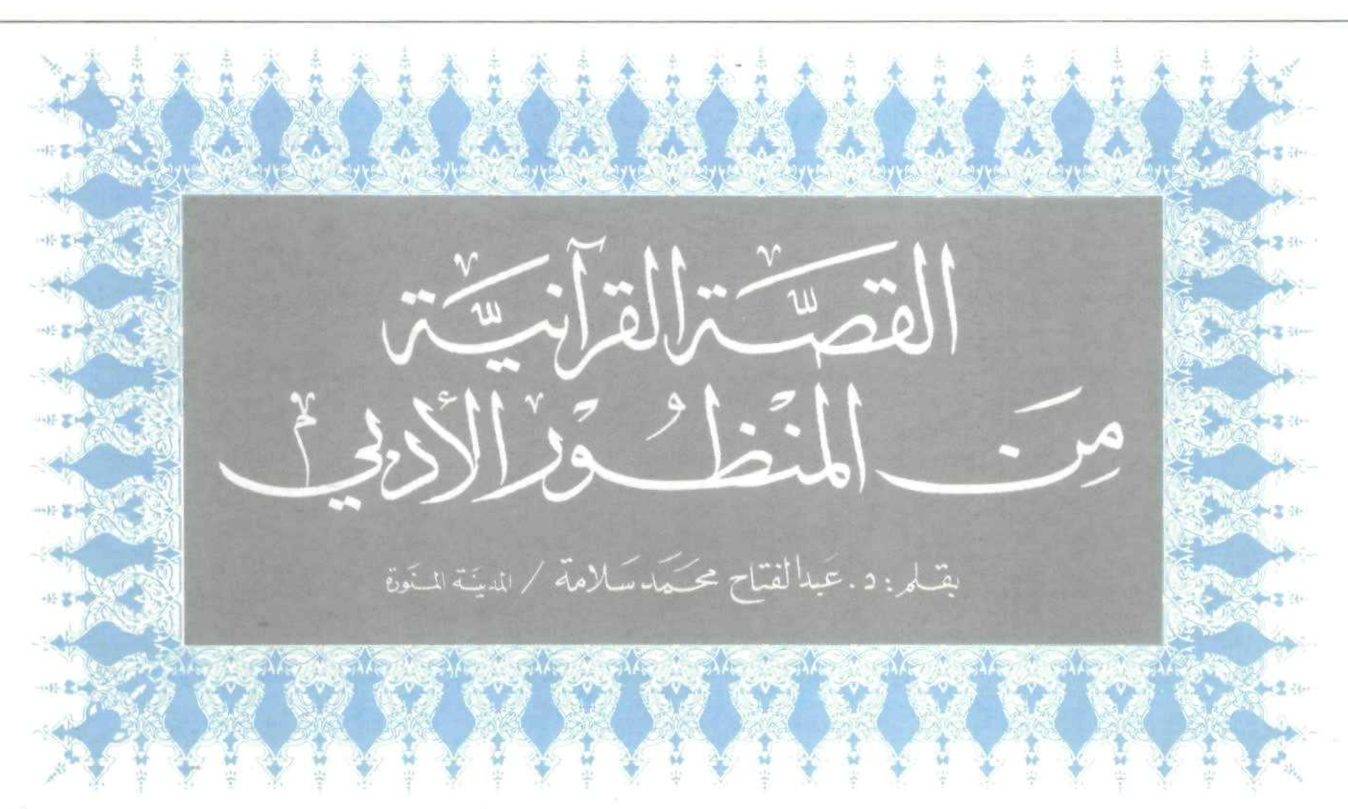
تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO - DAMMAM



جرش .. مدينة الروائع الاثرية والسيل الذهبي



من كتب الصناعة عند العرب : في الطب



ما هي القصة؟ وما اللون الذي جاءت عليه في كتاب الله؟؟

لم يتعرض البيانيون وعلماء النقد الأقدمون لمفهوم القصة، ولم يدلوا بدلائهم في هذه القضية، فضلا عن أن يتحدثوا عن النمط الذي وردت على غراره في القرآن الكريم..

أما علماء اللغة: فقد اكتفوا من الكلام عن القصة، بتحديدات مبهمة، وتعريفات ناقصة، فتعرضوا لما يثيره اللفظ من معنى، وما يحركه في الخواطر من صور... فاذا بهم يوردون معاني كثيرة عند حديثهم عن مادة «ق ص ص»، ولعل أقربها الى الناحية الأدبية البلاغية ما رواه اللغويون عن الأزهري، والليث..

يقول الأول: القصص فعل القاص اذا قص القصص، والقصة معروفة.

ويقول الثاني: القص، اتباع الأثر، ويقال: خرج فلان قصصا في أثر فلان: اذا اقتص أثره، وقيل: القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا..[١]

أما في كتب التفسير فتخطو المسألة خطوة الى الأمام، ذلك لأنهم يتناولون المسألة من زاويتين: زاوية لغوية يعتمدون فيها على الأثر اللغوي.. وزاوية دينية ينظرون فيها الى مرامي القرآن واغراضه التي يتغياها من وراء قصصه..

ولعل الفخر الرازي من بين طبقات المفسرين، هو الذي يمثل الاعتبارين الى حد ما.. يقول عند تفسيره للآية: «**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن...**»

...: «المسألة الثانية: القصص اتباع الخبر بعضا بعضا، وأصله في اللغة المتابعة.. قال تعالى: «**وقالت لأخته قصيه**».. أي اتبعي أثره... وانما سميت الحكاية قصة: لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا..»..[٢]

وهو قول يدل على أن الرازي يحاول التقريب بين المعنى اللغوي، والاصطلاح الأدبي، وذلك حين يربط بين الاثنين، باستعماله لفظ الحكاية، واطلاق لفظ القصة عليها.

ويقول أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: «**ان هذا لهو القصص الحق**».. والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي الى الدين ويرشد الى الحق ويأمر بطلب النجاة..»[٣] وهو قول يشرح معنى القصص شرحا دينيا... والرازي بهذا القول يدخل الميدان الأدبي، أو يقترب منه، وذلك لأن القصة الدينية ليست الا لونا من ألوان القصص الأدبي.

هذا ملخص أمين لجهد علماء اللغة المفسرين، في مجال حديثهم عن القصة ومشتقاتها..

ثم يأتي بعد ذلك المتأدبون، ويسوقون للقصة تعريفا يحدونها فيه بأنها: «هي ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له، أو لبطل له وجود، ولكن الأحداث التي دارت حوله في القصه لم تقع، أو وقعت للبطل ولكنها نظمت في القصة على أساس فني بلاغي، فقدم بعضها وأخر آخر، وذكر بعضها وحذف آخر، أو أضيف الى الواقع بعض لم يقع، أو بولغ في تصويره، الى الحد الذي يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون من الحقائق العادية والمألوفة، ويجعلها من الأشخاص الخياليين..»[٤].

القصة القرآنية من المنظور الأدبي ٤

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل قصص القرآن الكريم يخضع لهذا المعيار الأدبي؟؟ أو بعبارة أخرى: هل قصد القرآن من قصصه الى ما يقصد اليه الأدباء من التأثير الوجداني، واستثارة العاطفة والهاب الخيال؟؟ أو قصد الى التأثير العقلي واقامة الدليل والبرهان؟؟ على أننا لن نكلف أنفسنا مؤونة الخوض في غمار هذه البحوث، لنقف على الاجابة الدقيقة لتلك الأسئلة، فان ذلك مجال المشتغلين بالدراسات الأدبية، وميدانهم الذي يتسابقون فيه ويتنافسون، ولكل وجهة هو موليها.

ولكننا سنورد هنا نموذجا من القصص القرآني، وبخاصة ما يمثل فيه اللون التاريخي، الذي يدور حول الشخصيات التاريخية، من أمثال الأنبياء والرسل، والذي يعتقد الأقدمون أن الأحداث القصصية فيه هي الأحداث التاريخية، وهذا اللون من القصص يسلم الجميع بوجوده في القرآن الكريم..

وفي تناولنا لهذا اللون القصصي، سيتبين لنا: كيف عالجه القرآن بطريقة فنية بلاغية، وفي صورة أدبية تأخذ بالألباب..

لنتدبر معا هذه القصة: قال تعالى: «**كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر، انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، فكيف كان عذابي ونذر**».. القمر / ١٨—٢١

سنرى أن القرآن: قد تخلى عن كثير من التفصيلات، فلم يذكر عن عاد شيئا قبل التكذيب، وحتى عملية الارسال نفسها، قد تجاوز عنها، فلم يذكر عن هود شيئا، وهو الرسول الذي كذبه قومه.. كما لم يذكر هنا صفة عاد، ولم يتحدث عن بيوتها ومساكنها، ولم يذكر لنا شيئا مما دار بين هود وقومه، من جدل أو حوار.. ترك كل هذا وأسرع الى وصف العذاب... وهنا صورة أدبية رائعة، بألفاظ جزلة، تهز العاطفة، تستثير الانفعال، وتأخذ مكانها من الأفئدة والألباب... فهناك الريح الصرصر، وهناك النحس المستمر، وهناك قوة الريح التي تنزع الناس وكأنهم أعجاز نخل منقعر..

فعل القرآن كل هذا لسبب بسيط: هو أنه يريد في ذلك العهد، أن يبث في نفوس المعاصرين للنبي، صلوات الله وسلامه عليه: الخوف من العذاب، ويرغب أن يريهم من الصور ما يجعل الخوف قويا عنيفا، ومن هنا اختار هذه الصورة، واكتفى حتى لا يشغل الذهن عنها بغيرها.. وحرص القرآن على أن يكون العذاب والخوف منه: النتيجة التي يجب أن تقر في النفس وفي الفؤاد.. ومن ثم يبدأ القصة بذلك الاستفهام الذي يصوب الى القلب السهام، «فكيف كان عذابي ونذر»؟؟ وختمها أيضا بالاستفهام نفسه، وكأنه يريد أن يصيب من الناس المقاتل!!

فالقصة بذلك: لها مغزى عاطفي هو التخويف والانذار... وهكذا فالقرآن يختار من المواد الأدبية القصصية ما يحقق الغرض ويوفي بالقصد..

ولقد فطن ابن الأثير الى هذا الصنيع القصصي من القرآن، وعلله تعليلا أدبيا، أو بلاغيا، أو فنيا، حين قال في قوله تعالى: «**ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا، فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا**..». «ألا ترى كيف حذف جواب الأمر في هذه الآية، فان تقديره: فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميرا.. فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها، لأنها المقصود بطولها: أعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم» (٥)

فابن الأثير كما ترى: يعلل الذكر والحذف في القصة، بعلل أدبية بيانية، ويدلنا على أن القرآن: اكتفى بالذكر بحاشيتي القصة لأنها المقصود، وأعرض عما عداه، لسبب بسيط، هو أنه يقص للموعظة والعبرة، ولا يؤرخ للأفراد والجماعات، أو للأمم والشعوب.

ومن هنا نستطيع أن نقول: ان هذا اللون من قصص القرآن قصص أدبي تاريخي يأخذ القرآن مواد القصص فيه، من أحداث التاريخ ووقائعه... لكنه يعرضها عرضا أدبيا، ويسوقها سوقا عاطفيا، يبين المعاني ويؤيد الأغراض، ويؤثر بها التأثير، الذي يجعل وقعها على الأنفس، وقعا استهوائيا خطابيا، يستثير منها العاطفة والوجدان.. □

المراجع

١ — مادة القصص في كل من اللسان والقاموس ومفردات الراغب.

٢ — التفسير الكبير، جـ ٢ ص/١٨١

٣ — التفسير الكبير، جـ ٣ ص /٢٠٣.

٤ — الفن القصصي في القرآن، ص ١١٩، د. خلف الله..

٥ — المثل السائر، ص/٢٠٥.



الدواوين

معناها
اشتقاقها
أصل تسميتها
أول من وضعها في الدولة الاسلامية
أنواعها

بقلم: د. مسفر غرم الله الدميني / الرياض

الديوان: جريدة الحساب التي يدون فيها أسماء أهل العطاء والعساكر لحفظ ما يتعلق بالسلطنة من الأعمال والأموال[١]، ثم أطلق على موضع الحساب. قال أبو عبيدة: «الديوان» فارسي معرب، وهو بالكسرة، وقال الكسائي بالفتح لغة مولدة قد حكاها سيبويه وقال: انما صحت الواو في «ديوان» وان كانت بعد الياء ولم تعتل كما اعتلت في «سيد» لأن الياء في «ديوان» غير ملازمة وانما هو «فعّال» (دوّان) من دوّنت، والدليل على ذلك قولهم «دويوين» (بالتصغير) فدل ذلك أنه فعّال وأنك انما أبدلت الواو بعد ذلك، قال: ومن قال «ديوان» فهو عنده بمنزلة «بيطار» وانما لم تقلب الواو في «ديوان» ياء وان كانت قبلها ياء ساكنة من قبل أن الياء غير ملازمة وانما أبدلت من الواو تخفيفا، ألا تراهم قالوا: «دواوين» لما زالت الكسرة من قبل الواو، على أن بعضهم قد قال: «دياوين» فأقر الياء بحالها وان كانت الكسرة قد زالت من قبلها وأجرى غير اللازم مجرى اللازم وقد كان سبيله اذا أجراها مجرى الياء اللازمة أن يقول: «ديّان» الا أنه كره تضعيف الياء كما كره الواو في «دياوين» قال الشاعر:

عداني أن أزورك أم عمرو
دياوين تنفّق بالمداد

وقال الجوهري: «الديوان» أصله «دوّان» فعوّض من احدى الواوين ياء لأنه يجمع على دواوين، ولو كانت الياء أصيلة لقالوا: «دياوين» وقد دوّنت الدواوين[٢].

وفي أصل تسميته بالديوان وجهان

أحدهما: أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال: ديوانه، أي مجانين، فسمي موضعهم بهذا الاسم، ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا

للاسم فقيل: «ديوان». [٣]

الثاني: ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور، وقوتهم على الجلي والخفي، وجمعهم لما شذ وتفرق، ثم سمي مكان جلوسهم فقيل: «ديوان» [٤]

الديوان في الاسلام

أول من وضع الديوان في الاسلام انما هو الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وقد اختلف في سبب وضعه له:

فقال قوم: سببه أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر: ماذا جئت به؟ فقال: خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر فقال له: أتدري ما تقول؟ قال: نعم مائة ألف خمس مرات، فقال عمر: أطيب هو؟ فقال: لا أدري، فصعد عمر المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير، فان شئتم كلنا لكم كيلا، وان شئتم عددنا لكم عدا، فقال اليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم، فدوّن لنا ديوانا [٥].

وقال آخرون: بل سببه أن عمر بعث بعثا وكان عنده الهرمزان فقال لعمر: هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فان تخلف منهم رجل وآجل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديوانا فسأله عن الديوان حتى فسره لهم [٦].

وروى عابدين يحيى عن الحارث بن نفيل أن عمر، رضي الله عنه، استشار المسلمين في تدوين الديوان فقال له علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ولا تمسك منه شيئا، وقال عثمان بن عفان، رضي الله عنه: أرى مالا كثيرا يتبع الناس، فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فقال خالد بن الوليد: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديوانا وجنّدوا جنودا، فدون ديوانا وجند جنودا، فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم — وكانوا من شبان قريش — وقال: اكتبوا الناس على منازلهم فبدأوا ببني هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوه الى عمر، فلما نظر فيه قال: لا ما وددت أنه كان هكذا ولكن أبدأوا بقرابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله، [٧] فلما استقر ترتيب الناس في الدواوين على قدر النسب المتصل برسول الله، صلى الله عليه وسلم، فضّل عمر بينهم العطاء على قدر السابقة في الاسلام والقربى من رسول الله، صلى الله عليه وسلم [٨]، ثم روعي في التفضيل عند انقراض أهل السوابق بالتقدم في الشجاعة والبلاء في الجهاد [٩].

أنواع الدواوين وأعمالها

تتعدد الدواوين بحسب اختلاف طبيعة أعمالها وبحسب البلدان المنشأة من أجلها، وأنواعها تزيد على عشرين ديوانا ورد ذكرها فيما كتبه «الصابي» و«ابن مسكويه» و«الجهشياري» و«الماوردي» وغيرهم، لكن ما كتبه هؤلاء عنها لا يعدو أن يكون ذكرا عارضا من غير بيان للعمل الذي يجري فيها أو الصفات الواجب توفرها فيمن يروم العمل بها، ويتشوق المرء الى معرفة ما كان يجري في تلك الدواوين التي تمثل الجهاز الاداري للدولة الاسلامية في ذلك الزمن، والى العلاقة بين كل ديوان وغيره وعلاقة الدواوين جميعا بالخليفة.

كل هذه التساؤلات يجيب عنها قدامة بن جعفر الكاتب في المنزلة (الجزء) الخامسة من كتابه «الخراج وصنعة الكتابة» حيث أوضح عمل الدواوين التي ذكرها في كتابه — وهي أحد عشر ديوانا في المنزلة الخامسة، وثلاثة في المنازل الضائعة من الكتاب — وبيّن ما يجب أن يلم به «الكاتب» في هذه الدواوين من معرفة بطريقة سير العمل ومن صفات شخصية أخرى، ويعتبر ما كتبه قدامة وثيقة نادرة، وتزيد قيمة هذه الوثيقة اذا علمنا أنها كتبت من متخصص، فقد عمل قدامة بن جعفر في الدواوين زمنا طويلا حتى لقّب «بالكاتب» وهي صفة يسمى بها من تمهر في أعمال الدواوين في ذلك العصر.

ديوان الجيش

قال قدامة: أول ما ينبغي أن نبتديء به من أمر هذا الديوان في مجالسه وتبيين أسمائها ومعانيها، ثم نتلو ذلك بالأعمال التي يدعو ذكرها فيه اليها.. فنقول... [١٠]» ثم عدد بعضا من مجالس هذا الديوان مثل: مجلس الانشاء والتحرير ومجلس السكدار [١١] ومجلس التقدير ومجلس المقابلة، وقال مبينا عمل مجلس التقدير: والذي يجري في أمر لتقدير فهو أمر استحقاقات الرجال، والاستقبالات أوقات اعطياتهم، وسياقة أيامهم وشهورهم على رسومها، وعمل التقدير لما يحتاج الى اطلاقة لهم من الأرزاق في وقت وجوبها، وتجريد النفقات التي تنفذ لوجوهها، والنظر في موافقات [١٢] المنفقين واخراج احوالها وما شاكل هذه الأشياء وجانسها. [١٣] ومما قاله قدامة يتبين لنا عمل هذه المجلس من مجالس ديوان الخراج ففيه يجري تقدير أعطيات الرجال وتصنيفهم حسب شهورهم، فالعاملون في الجيش يختلف زمن أعطياتهم فمنهم من يقبض «طمعه» ثلاث مرات في السنة واسم هؤلاء «الجبليين الأحرار» نسبة الى الجبل وهي ما بين أصبهان الى زنجان، والعجم تسميها العراق [١٤] ومنهم التسعينية

الذين قبضهم في السنة أربعة أطماع، والمختارين الذي قبضهم في السنة خمسة أطماع، وشهرهم على اثنين وسبعين يوما، وأصحاب المشاهرة على ثلاثة وثلاثين يوما وقبضهم في السنة أحد عشر شهرا، وأصحاب النوائب الذين قبضهم في السنة اثنتي عشرة نوبة، ومنهم من يقبض طمعه في السنة مرتين،[15] وهنا على مجلس التقدير أن يكتب كل صنف من هؤلاء في جريدة خاصة، ويحسب ما يستحقونه والزمن الذي يقبضون فيه طمعهم، كما أن عليهم بيان النفقات التي ترسل الى مختلف الجهات، والنظر فيما رفعه اليهم القائمون على النفقات مما أنفقوه فاذا وافق ما سبق تقديره من قبل فبها والا بيّنوا الخلاف في ذلك.

أما مجلس المقابلة فيجري فيه النظر في الجرائد[16] وتصفح الأسماء ومنازل الأرزاق والأطماع واخراج الخلاف فيما يرد من رفوع المنفقين ويصدر ويرد من الكتب اليهم أو منهم.

ويبدو أن عمل هذا المجلس هو الرقابة على ما صرفه المنفقون، فان وافق ما قدر في مجلس التقدير والا رجعوا على المنفقين بما أخذوه، وكذلك تصفح الأسماء ومعرفة من مات أو نقل من مكانه أو زيد في طعمه، ولا شك ان الرقابة على مثل هذه الأمور أمر ضروري فبدونها لا تستقيم الأحوال، فالناس تختلف ذممهم وصفاتهم ولا يضبطهم الا مثل هذا المجلس الذي يقارب عمله اليوم عمل «ديوان المراقبة العامة» لكنها رقابة داخلية، أعني داخل ديوان الجيش وليست رقابة عامة على كل الدواوين.

ولما كانوا يحتاجون الى التأكد من صاحب الطمع عند قبض طمعه أنه صاحب الطمع وليس غيره فقد احتاجوا الى ذكر صفاته الخلقية التي تفصل بينه وبين غيره وهو ما أسموه بـ«الحلى» لذلك عدّد قدامة ما يستعمله الكتاب من حلى الرجال وشيات[17] الدواب وان بعض ذلك لا يوافق ما عليه مجرى اللغة قال: فانا لو ذهبنا الى تغيير ما لا يجوز في لغة العرب مما قد ألف الكتاب استعماله لتعدينا ما يعرفونه ويعملون عليه وجئنا بما يستكره أكثرهم ويخالف به عادتهم.[18]

وقد ختم قدامة أعمال هذا الديوان بذكر عدد من الأحكام الظلمية التي يعملها كتاب الجيش باعتبارها جزء من النظام المعمول به، ومن هذه الأحكام: أنه لا يجوز عندهم أن يزاد الواحد من الرجال أكثر من مبلغ رزقه الذي يكون له في وقت زيادته.[19]

ومن تأخر عن أخذ عطائه في وقت استحقاقه فقد صار ما استحقه فائتا سبيله التوفير[20] — أي يسقط حقه هذا عليه.

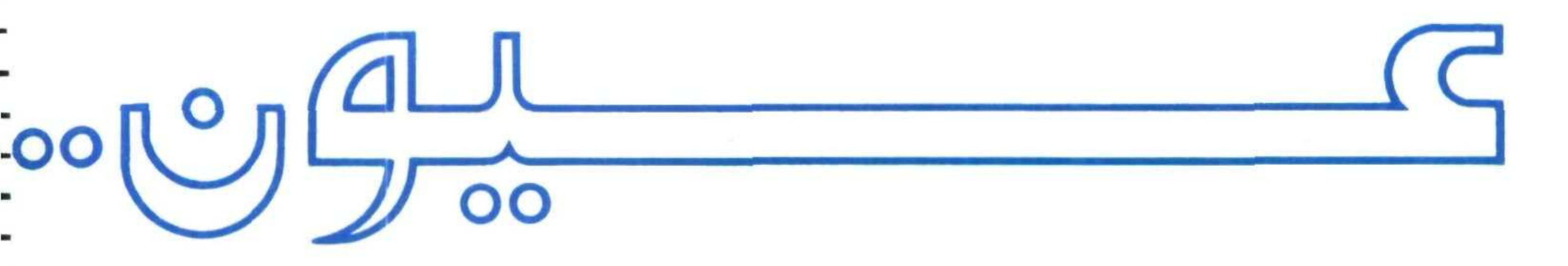
ومنها أن يبقون عندهم استحقاق شهر واقفا، فاذا انتهى الشهر التالي قبض استحقاقه عن الشهر الذي قبله وهكذا،[21] فكأنهم يبقون عندهم استحقاق شهر كتأمين مثلا.

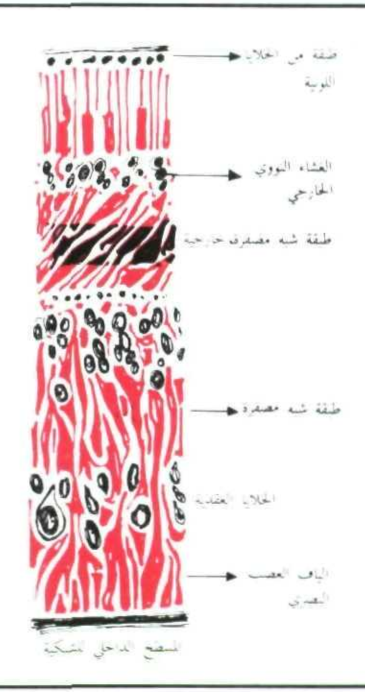
ومن هذه الأحكام الظلمية ان من نقل من مكان الى آخر فيكون الاستقبال به الشهر الذي فيه اعطاء نظرائه، قال وهذا غير مضبوط لأنه قد يجوز أن يصل الرجل الى الموضع الذي سبيله ان يقبض فيه رزقه بعد قبض نظرائه بيوم فيحتاج الى أن ينتظر حتى يقبضوا مرة أخرى ثم يستقبل به حينئذ الاعطاء، أو يصل مثلا في اليوم الذي يكون فيه قبضهم بعد مدة منه فيكون خلاف حال الأول وهذا مخالف للعدل لأن سبيل السنن والأحكام العادلة أن يكون الأمر في جميعها واحدا محصلا غير مفوّض الى البخت والاتفاق وما يجوز معه أن تحسن حال واحد وتسوء حال آخر.[22]

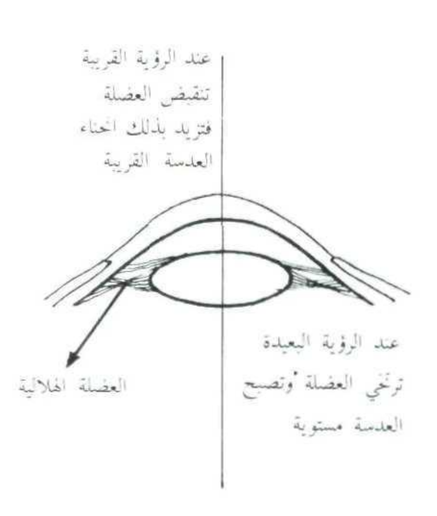
ومع معارضة قدامة لهذه الأحكام الجائرة الا انه لم يستطع تغييرها لأنها كانت في النظام المعمول به وليست من عند «الكتاب» أنفسهم □

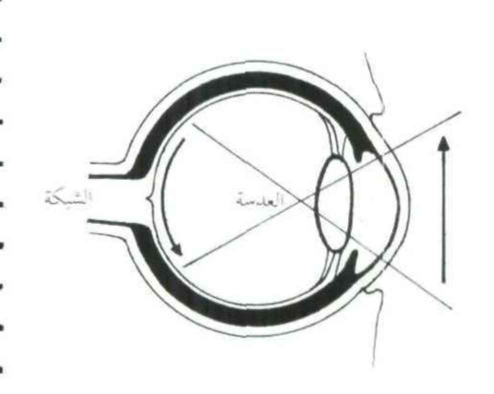
المراجع

١ــ الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٩٩، والتراتيب الادارية للكتاني ١:٢٢٥
٢ــ لسان العرب لابن منظور ٣:١٦٦
٣ــ الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٩٩
٤ــ المرجع السابق
٥ــ المرجع السابق
٦ــ نفس المرجع السابق
٧ــ نفس المرجع السابق ص ٢ث
٨ــ نفس المرجع السابق
٩ــ نفس المرجع السابق ص ٢ ث ٢
١٠ــ الخراج وصنعة الكتاب ــ مخطوط الورقة الأولى ــ أــ من المنزلة الخامسة.
١١ــ «السكدار» والاسكدار: مدرج يكتب فيه عدد الخرائط والكتب الواردة والنافذة وأسامي أربابها ــ مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٤١
١٢ــ «الموافقة» حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل، ولا يسمى «موافقة» ما لم يرفع باتفاق بين الرافع والمرفوع اليه، فان انفرد به احدهما دون أن يوافق الآخر على تفصيلاته سمي محاسبة. مفاتيح العلوم ص ٣٩
١٣ــ الخراج لقدامة أــب
١٤ــ معجم البلدان ٢:٩٩
١٥ــ الخراج لقدامة ٦ــب
١٦ــ «الجريدة» وهي من دفاتر الجيش، وهي تعد لكل قيادة في كل سنة بأسماء الرجال وأنسابهم وأجناسهم وأوصافهم ومبالغ أرزاقهم وقبوضهم وسائر أحوالهم، وهي الأصل الذي يرجع اليه في هذا الديوان في كل شيء ــ مفاتيح العلوم ص ٣٧
١٧ــ «شيات» جمع «شيه» وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس أو الدابة، وهي في ألوان البهائم بياض في سواد أو سواد في بياض.
١٨ــ الخراج لقدامة ٢ــأ
١٩ــ المرجع السابق ٥ــب
٢٠ــ المرجع السابق
٢١ــ المرجع السابق ٦ــأ
٢٢ــ المرجع السابق.









وعين الانسان معجزة العيون

تبزغ الشمس.. تغمر الأرض بالنور والضياء.. تدب الحركة والنشاط في أواصر الكائنات..

يبدأ النبات ممارسته لعبته الأزلية.. يمتص نفايات تنفس الانسان والحيوان بأوراقه وتمتص جذوره، الماء والأملاح من التربة.. على موقد النور الالهي لتحول الأوراق هذا المخلوط العجيب الى ثمار وفاكهة وألياف.

يبصر الناس.. يحسون.. ويدركون.. تستخدم الكائنات الحية تعاقب الليل والنهار، وتوالي الأيام فالشهور ميزانا وميقاتا لدورات حياتها.. الزهور تتحول الى ثمار.. تهاجر الطيور. فالضوء كقائد جوقة موسيقية على انغامه تعزف ايقاعات الحياة..!!

والضوء اثار قريحة الناس منذ القدم، وحرك عقولهم منذ الأزل.. ما هو؟ بما يدركون حالوا تفسير ما يهوون، وركزوا على معرفة البصر، فجاءت تفسيرات تناسب كل عصر. وتتمشى مع مدركات العقول آنذاك، واحد منهم ادعى بأن الابصار لا يكون الا بالاتصال المادي بين العين والشيء وكأن العين تخرج شعاعا على هيئة مخروط رأسه عند العين وقاعدته عند سطح المبصر، فاذا خرج هذا الشعاع من العين ووقع على الشيء فلمسه حدث الابصار.

هذه دعوى قالها زينون السينيومي في عام (٣٣٦ق.م) متخيلا الابصار مثل قرون الاستشعار يمتد من العين الى الشيء.

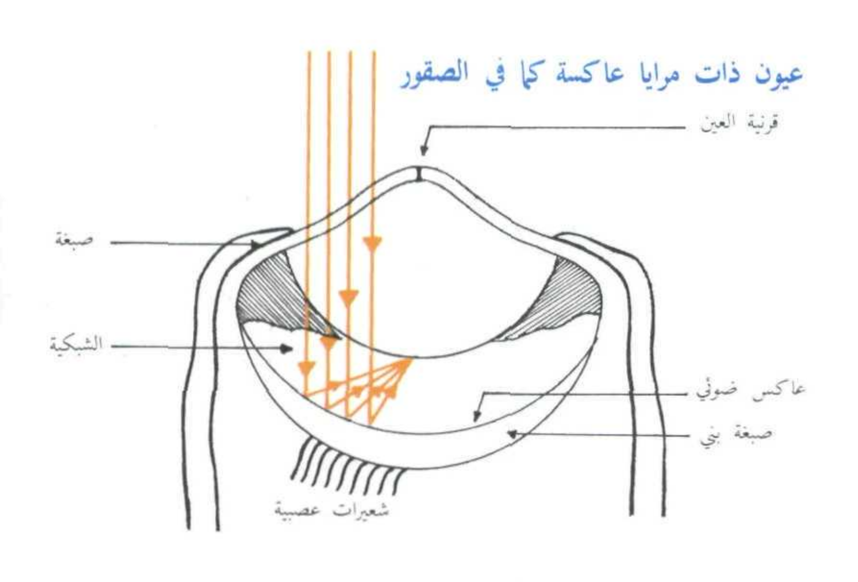
وذكر أفلاطون بأن الابصار يحدث من التقاء نور الهي يخرج من المبصر مع نور آخر هو الضوء ويحدث الابصار، وعلل أفلاطون عدم الرؤية من الظلام بدعوى أن النور الالهي لم يلتق مع الضوء. ومن بعده جاء أرسطو بأغرب وأعجب مقولة دعاها —للأسف— نظرية —وما هي كذلك— أورد فيها بأن الابصار صفة عارضة تعرض على الوسط الشفاف شبحا بين الجسم وعين المبصر. ثم جاء فيثاغورس (توفي عام ٤٣٥ ميلادية) واعتنق نظرية قديمة ذكرها ابيقور عام ٢٧٠ ق.م. قائلا بأن المرئيات تبث اشباحا أو صورا شبيهة بها تنخلع عنها باستمرار فاذا وقعت على العين حدث الابصار.

والواضح انها أقرب نظرية للواقع.. رغم استخدام كلمات الاشباح.. الا انه دون مبرر معلوم أو سبب مفهوم ارتد الناس على أعقابهم خاسرين وسادت نظرية السينيومي وحكاية اصدار العين أشعة تجري في الهواء حتى تقع على الجسم.

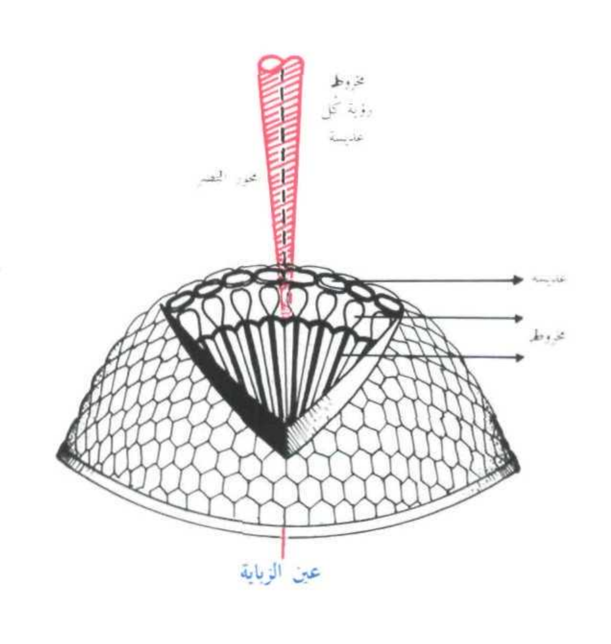
ومضى الزمن وتداعت السنون، حتى جاء العالم الاسلامي الشهير الحسن بن الهيثم، فهضم علوم من سبقوه بما فيها من تصورات عقلانية وخرافات وأوهام ومنطق وطرد من عقله الغث واحتفظ بالثمين ثم بدأ في دراسة الضوء دراسة متأنية فاحصة متأملة فاذا به

و.. عيون

بقلم: د. محمد نبهان سويلم / القاهرة



عيون ذات مرايا عاكسة كما في الصقور



عين الزبابة

يستقري الشروط الأربعة الواجبة لكي يحدث الابصار.

وفي المقالة السابعة من كتابه «المناظر» أجمل هذه الشروط فيما يلي:

- أن يكون الشيء مضيئا بذاته كالشمس أو باشراق ضوء عليه ويعني انه يعكس الضوء على حد تعبيرنا في عصرنا هذا.
- ان يكون على بعد من الشيء.
- أن يكون الجسم المتوسط بينه وبين البعد مشفا، أي شفافا، يسمح بمرور الضوء كالهواء.

تلك هي الحقائق التي أعطت الحسن بن الهيثم الى جانب بحوثه الأخرى مكانة الصدارة والريادة لعلم الضوء والبصريات، وخلدت اسمه في سجل تاريخ العلوم بحروف بارزة ظاهرة للعيان، وعنه قال الدكتور مصطفى نظيف: «الفكرة الاساسية التي بنى عليها ابن الهيثم عملية الابصار صحيحة، وهي ذات الفكرة المعتمدة الى وقتنا الحالي بل لا نغالي اذا قلنا ان تصويره للأمر بتفصيلاته التي يذكرها صحيح الى أبعد ما نظن من الوهلة الأولى». وعنه قال أشهر مؤرخ عالمي درس تاريخ العلوم عند العرب «جورج سارتون»: انه أشهر عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة، بل أشهر علماء الطبيعة في القرون الوسطى، وعالم من علماء البصريات القلائل في العالم كله، وعلامة بارزة على التقدم العربي.

ودراسة ابن الهيثم عن الضوء قادته الى دراسة العين وتشريحها والوصول الى معظم حقائقها، فاذا بها كرة كروية الشكل يبلغ قطرها نحو ٢,٣ سم، جزؤها الأمامي غطاء شفاف يقيه غلاف صلب معتم هو الصلبة، ومن خلف الجزء الشفاف توجد القزحية ويختلف لونها باختلاف الأشخاص، احيانا هي زرقاء أو سوداء أو عسلية، وتتسع الحدقة (القزحية) ووسطها انسان العين يضيق ويتسع حسب سترة الاضاءة، ومن خلف القزحية عدسة من مادة شفافة مائية محدبة الوجهين، وجهها الخلفي أكثر تقوسا من الوجه الأمامي، ويتصل عند حوافها بعضلات قابضة للتقلص والارتخاء، ويبطن غلاف العين من الداخل مئة وخمسة وعشرون مليون من خلايا عصبية على هيئة قضبان أو مخاريط تشعر بالضوء الخافت وتحس بالألوان، وكأن في موقعها مقدمة للعقل امتدت الى العين لتسمح للمشاهد بالدخول من قاع العين الى وحدة الابصار والرؤية من المخ.

هذا ما نعرفه جميعا عن عين الانسان فهل بالضرورة كل العيون مثل عيوننا؟

أبدا.. كل مخلوق ميسر لما خلق له، فهناك عيون غاية في البساطة ونخطىء القول لو أسميناها عيونا، انما مجرد مستشعرات ضوئية، فالعين تعني الرؤية وتحديد المناظر والمشاهد، وفهم وقع الفعل، وحركة العين وادراك

عيون.. و.. عيون

الحواس غير المنظورة[1] والعيون البسيطة لا تؤدي أيا منها.. فهي مجرد خلايا حساسة للضوء تشعر الكائن الحي بأن الوقت نهار أو ضوء أو ليل أو ظلام، لا هدف لها سوى التذكرة بالموقف الراهن، ومثل هذه المستقبلات الضوئية نجدها حتى في أبسط أنواع الحيوانات مثل الأميبا المكون من خلية حية واحدة، ومن الحيوانات عديدة الخلايا قد يكون جلد الحيوان هو الحساس للضوء دون سواه، وفي السوطيات مثل اليوجيلينا، يوجد عند الطرف الأمامي لهذا الحيوان المائي امتداد يسمى السوط يؤدي للحيوان ما تؤديه الأرجل، وبالقرب من قاعدة الامتداد السوطي توجد حبيبات صفراء اللون هي البقعة البصرية وأسفلها خلية حية مستقبلة للضوء توضح للحيوان الدنيء أي الاتجاهات، عليه أن يسلك بين تيارات الماء. وتوجد عيون بسيطة عبارة عن عدة خلايا ضوئية في تجويف الهيكل العظمي لرأس بعض القشريات ولا تكون صورة ولا شيء.

والحشرات كالنمل أو النحل لها عيون مركبة معقدة تتكون من ٢٠٠٠ عديسة موزعة بانتظام مذهل على العين أو مثل بذور حبات الجوافة في قلب الثمرة وتتصل بخلايا بصرية منخوزة حول محور رئيسي متصل بالشعيرات البصرية، ولكل عديسة غرض وهدف وغاية لا تحيد عنها قيد أنمله وهي ترى المرئيات على هيئة نقط متراصة مختلفة الظلال وكل نقطة منقولة عن طريق الشعيرات الى العقل. وتبقى الحشرة على علم بمدى التغيرات الضوئية في جزء صغير من مجال الرؤية، ومثل هذه العين تكون شديدة الحساسية لأية حركة تصدر في الوسط المحيط بها.

وقد وقعت في يدي دراسة عن لغة النحل تحتاج منا الى وقفة متأنية لتقارنها بالمعلومات المتوافرة عن الحاسة البصرية للنحل، فالنحل ضعيف البصر للغاية مقارنة بالانسان ولا يرى الا الأشياء الضخمة، فالنحلة مثلا لا تستطيع رؤية زهرة واحدة لكنها ترى الحديقة ومتى اهتدت اليها قادت باقي أسراب النحل اليها لا عن طريق لغة انما عن طريق اهتزازات تؤديها النحلة المكتشفة على مقربة شديدة من باقي طرد النحل فيفهم بما أوحي اليه سر الموضوع وينطلق طائرا الى الحديقة الغناء.

لقد لاحظ الانسان منذ قديم الأزل قدرة وحدّة عيون الطيور، وكان من المألوف في لعبة الصيد بالصقور أن يحمل الفارس على جزء بارز من سرج جواده طائرا صغير داخل قفص من نوع خاص، ومتى أطلق صقره الاشهب وراء الفريسة، وحلق الصقر المدرب في عنان السماء متتبعا طريدته اصبح الفارس غير قادر على تتبع صقره بواسطة عينيه وسط زرقة السماء فكان يستدل على مكانه من مراقبة عيني الطائر الحبيس، ويدير رأسه صوبه حيثما اتجه.

هنا

وقف العلماء وقفة متأنية بين العلاقة بين الصقر القناص والطائر الحبيس، ولم يستطع أحد تفسير قدرة الطيور الجارحة على القنص والرؤية على مسافات بعيدة وعلى ارتفاعات شاهقة، وتمييز فرائسها وسط بيئة مضللة للرؤية الى حد بعيد. وعلى سبيل الايضاح، فان عين الصقر الأشهب أو الصقر الشاهين تستطيع تمييز أغراض اختبارية توضع لمعرفة مدى حدة بعديها ومدى الابصار. فقوة عين الصقر تضاهي ثلاثة أضعاف قوة عين الانسان السليم، الأمر الذي يجعل عين الصقر قادرة على تمييز تفاصيل متناهية الضآلة تحتاج عين الانسان لابصارها الى عدسات صقرية وضوابط وأجهزة بصرية دقيقة.

وشرح العلماء عيون الصقور وقالوا ان عين الصقر تملك جهازا بصريا غاية في الدقة والحدة تساعده بؤرة التركيز السلبي للعدسة الخلفية على تكبير الشيء المطلوب رؤيته على بعد قريب من متناول عدسة عين الصقر الأمامية التي تقوم بالرؤية الفعلية. وقد تمكن عالمان من استراليا هما «أ. و. سنايدر» و«و. هـ. ميللر» من تشريح عيني صقر أشهب بأسلوب حديث فاكتشفا لأول مرة أن العين تملك عدسة خلفية مكبرة تقوم بالخطوة الأولى من ابصار الشيء الطائر على المدى البعيد وتنقل الصورة (صورة ما تراه) الى العدسة الأمامية المتصلة بالمخ وبالتالي تتركز صورة الشيء داخل عين يكاد حجمها يصل حجم عين الانسان، رغم ضآلة حجم رأس الصقر وضآلة مخه بالمقارنة الى رأس الانسان وعقله.

ولكن عين الصقر هذه لا تكاد ترى الأشياء كما هي في الواقع، فحتى الآن ليس هناك وسيلة لمعرفة مدى احساس شبكية عين الصقر بالألوان الأساسية (الأحمر — الأخضر — الأزرق) وهل الصقر تساعده عيناه على تصويب الانقضاض أم لا. ومن الناحية النظرية لا يمكن حتى الآن قياس درجة وقوة ابصار الصقور لأن التداخل الناتج عن انعكاسات الضوء على العدسات المختلفة يمكن أن تشوه عملية القياس. وفي قياسات حديثة قامت على افتراضات تشريحية جديدة، أمكن التوصل الى نتيجة مؤداها ان عيون الصقر هي أكثر قدرة على رصد الأهداف الضئيلة الحجم والبعيدة، كما ثبت أن عيون الصقر تزداد قوة ابصارها دقة كلما امتدت المسافة الى درجة بعيدة والا فقدت العيون قدرتها على التحديد، الأمر الذي يعوضه الطائر بالقدرة على الطيران باندفاع واقتراب أكبر نحو فريسته.

أما بالنسبة للأسماك فهي ترى ما في القاع جيدا وترى ما فوق السطح برؤية مقدارها خمسون درجة تقريبا على هيئة نصف دائرية أو بالأدق نصف كروية،ويرجع ذلك الى انكسار الضوء عند نفاذه من الهواء الى الماء وتقلص سرعته نتيجة زيادة كثافة الماء على الهواء، وعين السمكة منفرجة الزاوية.

وصدق قول الحق تبارك وتعالى: **«وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما»** □

---

١ — تعرف الحواس بأنها خمس، والحقيقة هناك حواس غير منظورة مثل الشعور، لغة العين، الغريزة والجوع.. والعطش الخ.



ربما..

شعر : عبدالملك عبدالرحيم / الرياض

زَهْرَةٌ.. مَسَّتْ كِيَانِي أَنْعَمَا   وَأَحَاطَتْ بِي رَبِيعاً مُلْهِمَا
مُنْذُ أَنْ عَانَقَ رُوحِي سِحْرُهَا   حَدَّدَتْ عُمْرِي.. شَبَاباً وَدَمَا
مُنْذُ أَنْ مَرَّ بِدَرْبِي عِطْرُهَا   أَنْبَتَتْ فِي كُلِّ رُكْنٍ بُرْعُمَا
وَغَدَا الكَوْنُ خَمِيلاً نَاضِراً   زَهْرُهُ.. عَبْرَ الْمَسَافَاتِ ارْتَمَى
وَطُيُورُ الْحُبِّ مَاجَتْ.. وَانْبَرَتْ   تَنْشُرُ الأَفْرَاحَ.. تَشْدُو حُوَّمَا
وَارْتَوَى قَلْبِي بِلَحْنٍ رَائِعٍ   وَلَيَالِيَّ اسْتَحَالَتْ أَنْجُمَا

زَهْرَةٌ نَشْوَى.. سَقَاهَا النَّبْعُ مِنْ   رِيِّهِ الصَّافِي.. حَنَاناً مُنْعِمَا
كُلُّ مَا فِيهَا يُنَادِينِي.. فَمَا   أَوْمَأَتْ لِلْقَلْبِ إِلاَّ اسْتَسْلَمَا
صَوْتُهَا الْحَانِي يُنَادِي.. نُورُهَا   سِحْرُهَا الرَّاقِي.. وَفِكْرٌ قَدْ سَمَا
نَظْرَةٌ يَأْتَلِقُ الفَجْرُ بِهَا   بَسْمَةٌ.. إِشْرَاقُهَا قَدْ نُغِّمَا

غَرَّدَ الكَوْنُ.. وَحَلَّتْ فَرْحَةٌ   أَخْلَدَ القَلْبُ إِلَيْهَا وَانْتَمَى
غَرَّدَ الكَوْنُ.. وَلكِنْ مَا الَّذِي   فَجْأَةً.. حَوَّلَ عُرْسِي مَأْتَمَا؟
إِنَّهَا بَسْمَةُ عُمْرِي.. بَغْتَةً   وَدَّعَتْ دَرْبِي.. فَأَمْسَى مُظْلِمَا
بَعْدَ أَنْ صَارَتْ لِقَلْبِي جَنَّةً   خَلَّفَتْ قَلْبِي هَشِيماً مُضْرَمَا



زَهْرَةُ النَّبْعِ ارْتَوَتْ مِنْ شَهْدِهِ   ثُمَّ صَبَّتْهُ بِكَأْسِي عَلْقَمَا
نَعَّمَتْنِي.. ثُمَّ أَلْقَتْ بِي إِلَى   وَقْدَةِ الرَّمْلِ.. وَنِيرَانِ الظَّمَا
وَاحْتَوَى خَطْوِي طَرِيقٌ مُفْزِعٌ   مِلْؤُهُ الأَشْوَاكُ.. تَغْرِي الأَعْظُمَا

مَا الَّذِي بَدَّلَ مِنْهَا أَمْرَهَا   فَارْتَضَتْ هَذَا القَرَارَ الْمُؤْلِمَا
وَهْيَ تَدْرِي أَنَّ قَلْبِي عِنْدَهَا   مُودَعٌ لِلْحُبِّ.. عَهْداً مُحْكَمَا؟
بَعْدَ أَنْ خِلْتُ نَجَاحِي فِي الهَوَى   مَاثِلاً.. صَرْحُ غَرَامِي هُدِّمَا



أَيُّهَا القَلْبُ تَقَبَّلْ حُكْمَهَا   فِي ثَبَاتٍ.. رَاضِياً أَوْ مُرْغَمَا
أَيُّهَا القَلْبُ تَقَبَّلْ ظُلْمَهَا   إِنَّ مِنْ طَبْعِ الهَوَى أَنْ يَظْلِمَا
أَيُّهَا القَلْبُ تَحَمَّلْ.. إِنَّهَا   رُبَّمَا تَرْجِعُ يَوْماً.. رُبَّمَا

النوادر في

النوادر جمع نادرة أو نادر، جاء في الصحاح: «ندر الشيء يندر ندورا: سقط وشذ، ومنه النوادر. وفي عبارات العلماء وأقوالهم المستعملة في ذلك: النادرة بمعنى الشاردة، والنوادر بمعنى الشوارد من اللغة.

والنادر — في الاصطلاح — تعبير لغوي يقصد به ما جاء في كتب اللغة أو على لسان الأعراب، على خلاف الفصيح المعروف.

وجاء في اللسان: «ونوادر الكلام تندر، وهي ما شذّ وخرج على الجمهور». والنادر — في مفهوم القدماء — قريب من الحوشّي والغرائب والشوارد والشواذ في اللغة، الا أن النادر بمعناه العام يشمل هذه المعاني جميعا، على الرغم من أنه بمعناه الخاص أقرب هذه الألفاظ من الفصيح. ففي عبارة صاحب الصحاح في تعريفه «سقط وشذ» وفي كلام صاحب اللسان: «وهو ما شذّ وخرج على الجمهور» أي ما خرج عن السهل المتعارف عليه بين الناس.

وقد ذكر السيوطي — في مزهره — فائدة لغوية، عند كلامه عن الحواشي والغرائب والشوارد والنوادر، تقربنا كثيرا من مفهوم القدماء — قال نقلا عن ابن هشام في معنى النادر وتعيين مرتبته في الفصاحة: «اعلم أنهم يستعملون غالبا، وكثيرا، **ونادرا**، وقليلا، ومطّردا. فالمطّرد لا يتخلف، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دون الكثير، والنادر أقل من القليل، فالعشرون بالنسبة الى ثلاثة وعشرين غالبها، والخمسة عشر بالنسبة اليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر، فعلم بهذا مراتب ما يقال فيه ذلك.» [١]

وهو وان لم يقدم لنا شاهدا على ذلك — الا أننا وجدنا في كتب «ابن السّكّيت» العديد من الشواهد التي توضح هذا المفهوم وتقربه الى الأذهان.

قال ابن السّكّيت في اصلاح المنطق: «وما كان على «مِفْعَل» و «مِفْعَلَه» فما يعتمل فهو مكسور الميم نحو: مِخْرَز ومِقْطَع ومِبْضَع.. **الا أحرفا جاءت نوادر بضم الميم والعين** وهي: مُسْعُط — وكان القياس مِسْعَط — ومُنْخُل ومُدُق ومُدْهُن ومُكْحُلَة ومُنْصُل [٢]».

وقال أيضا: «ومن كان على «فَعَلَ يَفْعَلُ» فان مصدره اذا جاء على «مَفْعَل» مفتوح العين، وكذلك الموضع مفتوح، نحو قولك: دخَل يدخُل مَدْخَلا، وهذا مدخَله، وخرَج يخْرج مخرَجا، وهذا مخرجُه، **الا أحرفا جاءت نوادر بكسر العين**، وهي: مَفْرِق الرأس — وكان القياس: مفرَق — ومطْلِعُ ومشْرِقُ ومغْرِبُ ومسْقِطُ.. فإن هذه جاءت على غير القياس، ومنها ما يقال بالفتح ومنها ما لا يفتح.» [٣]

وتحدث الصاحبي في فقه اللغة عن «المشكل» فقال: «ان الاشكال يأتيه من وجوه منها: غرابة لفظه، أو أن تكون فيه اشارة الى خبر لم يذكره قائله على جهة، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود، أو أن يكون وجيزا في نفسه غير مبسوط، أو أن تكون ألفاظه مشتركة.».

كما أورد السيوطي أمثلة للشوارد والغرائب، وفسرها بقوله «والغرائب جميع غريبة، وهي بمعنى الحوشي. والشوارد جميع شاردة، وهي أيضا بمعناها».

هذه هي أهم آراء العلماء القدماء في النوادر وما يتصل بها، وهي آراء ترسم الحيرة على أذهاننا. !

ما الفرق اذن بين الكلمة الفصيحة والكلمة النادرة؟ وما هو دليل الندرة؟

الكلمة الفصيحة — في رأيي.. هي الكلمة المتداولة المتعارف عليها بين فصحاء العرب، والتي تتفق مع ما تعارف عليه العرب وعرفوه وفهموه..

أما الكلمة النادرة، فهي ما قل استعمالها على ألسنة العرب.. وفي اعتقادي أن الندرة أو غير ذلك لا يتصل بالفصاحة وغيرها.. لذلك لا نستطيع أن نوافق ابن هشام فيما ذهب اليه — من أن النادرة «هي القائمة على مخالفة اللفظ وخروجه عليه، واذا كان ابن هشام لم يستطع أن يقدم لنا شاهدا واحدا على صحة نظريته، فاننا استطعنا أن نعثر على مجموعة من الشواهد التي تخالف القياس، والتي قد يعنيها هو في نظريته. ومن ذلك ما أورده أبو زيد الأنصاري في شعر لسلمان بن ربيعة الضبّي [٤] وهو قوله:

وكفيتُ مولاي الأحمَّ جريرتي
ء وحبَسْتُ سائمتي على ذي الخَلتِ
ولقد رأبْتُ نأي العشيرة بينها



بقلم: الدكتور أحمد جمال العمري / جامعة الملك عبدالعزيز

وكفيتُ جانبها اللتيا والتي
زعمتْ تماضرُ أنني إمّا أمُت
يسددُ أبينوها الأصاغرُ خلّتي

وعندما جاء الى تفسير «أبَيْنوها» قال: «وصغّر الأبناء على أبَيْنَيْن على غير قياس».

وقد أورد أبو زيد شواهد أخرى للندرة الناجمة عن الخروج على القياس، منها ندرة الألفاظ نتيجة للابدال [٥]. ومنها ندرة الألفاظ نتيجة للقلب الذي يصيب الكلمات [٦].

وقد فهمنا من الشواهد التي أوردها أبو زيد في نوادره — أن الندرة قد تكون نتيجة لكون اللفظة فارسية معربة: دخيلة على العرب مما تجفوها نفوسهم، وتمجها أذواقهم، والدليل على ذلك أننا وجدنا كتب النوادر تضم كثيرا من هذه الألفاظ الأعجمية على أنها من النوادر. مثال ذلك قول القائل:

قالَت سُلَيْمى اشترِ لنا سُوَيقا
وهاتِ برّ البخْس أو دقيقا
واعجُل بشحْمٍ نتخذْ خَرْديقا
واشترِ فعجِّلَ خادما لبيقا
يا سلمَ لو كنت لذا مطيعا
ما كان عيشي عندكم تربيقا

شرح أبو زيد كلمة «الخَرْدِيق» بقوله: والخَرْديق بالفارسية المَرَقة، مرقة الشحم بالتابل. [٧]

وجاء في نوادر أبي مسحل [٨] «.. ويقال رجل جَرْدَبان، وجُرْدُبان، وجَرْدَبيل وهو الذي يأكل بيمينه ويَجْرْدِب بشماله، يقول طفيل:

واذا ما كنت في قوم شهاوى
فلا تعجل شمالك جَرْدَبانا

فجردب أي وضع شماله على ما بين يديه من الطعام يستره لئلا يتناوله غيره، والفعل منحوت من الجردبان، وهو معرب «كِرْدَه بَان» بالفارسية [٩]، ومعناها حافظ الرغيف.»

والحقيقة التي تنطق بها المصادر القديمة — أن نظرية ابن هشام وان كانت في جانب من جوانبها صحيحة — الا أنها على الرغم من ذلك لا تحل لنا مشكلة النوادر، ولا تعللها تعليلا تاما، لأننا نجد كثيرا من الألفاظ جاءت مخالفة للقياس، وهي مع ذلك فصيحة مشهورة، لا تعد من النادر في حال من الأحوال. فينبغي لنا والحالة هذه أن نبحث عن تعليل آخر يتمم نظرية ابن هشام، ويفسر لنا ما لم تستطع هذه النظرية تفسيره. وفي رأيي أن هذا التعليل يكمن في **الاستعمال**.. فعلامة كون اللفظة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم وفصاحتهم لها كثيرا، أو أكثر من استعمالهم لفظة أخرى بمعناها.

فالمراد بالفصيح اذن — كما نفهمه من أقوال القدماء — ما كثر استعماله على ألسنة العرب، أي ما كان مشهورا معروفا متداولا بين العرب الفصحاء.

ونحن نضيف.. قياسا على ذلك — والمراد بالنادر ما قل استعماله في ألسنة العرب وكلما كثر استعمال اللفظة، وعرفها جمهور أكبر من العرب، وشاعت على ألسنتهم كانت أشهر، وعلى العكس من ذلك، فكلما قلّ استعمال اللفظة، وعرفها ناس من العرب قليلون كانت نادرة مجهولة..

فاذا كان ذلك كذلك — فكثرة الاستعمال أو قلّته هو المعيار الصحيح الواضح الذي يمكننا به أن نحكم على شهرة اللفظ أو ندرته، وبالتالي فليست النوادر شذوذا أو خروجا على اللغة، الا ما كان منها مخالفة للفصحى، أو ليس من أصل اللغة العربية. وزيادة في توضيح هذا الأمر، نقف قليلا لنتساءل..

هل كل هذه الألفاظ التي نراها في كتب النوادر، والتي أوردها الرواة والعلماء على أنها نوادر، هل هي من النوادر حقا وخلاف الفصيح..؟

لا يسعنا الا أن نجيب بالنفي على هذا السؤال، ونحن نستمد هذا الجواب من كتب النوادر نفسها — ذلك أن كثيرا من هذه الألفاظ لا يمكن أن نعدها من شذوذ اللغة وغرائبها في حال من الأحوال، بل هي تكاد تكون أفصح الفصيح. والسبب في ذلك هو تباين وجهات النظر عند علماء اللغة أنفسهم، هذا من ناحية — ومن ناحية أخرى اختلاف معاييرهم في تقدير فصاحة الألفاظ أو غرابتها، ومن ناحية ثالثة — أن مصادرهم في تجميع هذه المواد اللغوية كانت متفاوتة ومتباعدة في أحيان كثيرة.

ودليلنا على ذلك، ما نقله السيوطي عن

ابن خالويه في شرح الفصيح.. «قال أبو حاتم[١١] : كان الأصمعي يقول أفصح اللغات، ويلغي ما سواها، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحدا، فيجيز كل شئ، قال: ومثال ذلك أن الأصمعي يقول: «حزنني الأمر يحزنني» ولا يقول «أحزنني». قال أبو حاتم: وهما جائزان، لأن القراء قرؤوا: «يَحْزُنهم الفزعُ الأكبر»[١١] « ولا يُحْزِنهم» جميعا، بفتح الياء وضمها.»

وهذان الرأيان — رأي الأصمعي ورأي أبي زيد — يمثلان الطرفين المتباعدين في اتجاهين مختلفين في قضية اللغة عموما.. والذي نعرفه من خلال أبحاثنا — أن الأصمعي كان ملتزما مقيدا، لا يقبل الا الفصيح المشهور من اللغات، لذلك كان يعدّ «حَزَنَ» فصيحا فيأخذه، ويعدّ «أحْزَن» خلاف الفصيح فيرفضه.

وفي الحقيقة — ليس الأمر كما كان يفعل الأصمعي، وانما هذا منه رأي ارتآه، ومقياس وضعه لنفسه لا غير، لأن «أحْزَن» ليست من النوادر، وليست بأقل فصاحة من «حَزَنَ» في اللغة، وقد أصاب أبو حاتم السجستاني في رأيه، وكان ذكيا حين احتكم الى قراءة القراء في المسألة، واتخاذه قراءاتهم المتعددة معيارا يفصل به في الأمر، لأن القراء كانوا الصفوة المختارة في البيئة العربية، ويمثلون الأوساط المتباينة في هذه البيئة، فكانوا بذلك يمثلون جمهور العرب الناطقين بالضاد أصدق تمثيل. وخير دليل على فصاحة «أحْزَن» انها زحَمَت «حَزَنَ» وغالبتها، حتى أتى حين من الدهر على اللغة العربية صارت فيه «حَزَن» من النوادر، وشاعت «أحْزَن» على ألسنة الناس وأقلام الكتاب الى يومنا هذا.

ما الدوافع إلى الاهتمام بالنوادر؟

يعتبر العصر الأموي — في نظر أكثر الباحثين — بداية عصر الدرس والتعليم، والاهتمام بالغريب والنادر في ميادين اللغة، ففيه انبثقت حركات تعليمية منهجية، على رأسها «الحركة الدينية» التي عنيت بتفسير القرآن الكريم ورواية الحديث الشريف، كما عنيت بوضع قواعد الفقه الاسلامي، الذي لم يقف به أصحابه عند أمور العبادات الدينية، بل وسعوه ليشمل كل فروع الحياة المدنية.

وصاحبت الحركة التعليمية الدينية حركة أخرى، تعليمية أيضا، لغوية أدبية، عمادها الشعر الجاهلي، تنهج على نهجه، وتتمثله في كل صوره وآثاره تراثا حيا راقيا، ومثلا أعلى يحتذى في متانة الألفاظ، وقوة المعاني، وفصاحة اللغة، بعد أن نشأت الحاجة الى دراسة اللغة العربية، لا على أنها متعة أدبية فحسب، بل للحاجة اليها في تقويم الألسنة، وتعليم الجمهور الأدبي، وتقديم النماذج الفنية له.

لقد أخذ الناس يدرسون ويبحثون، وكان الأدب[١٢] في مفهومهم: تفهما ودراسة لنماذج الأدب الرفيعة الموروثة بكل عناصرها وأبعادها وخصائصها، لذلك أخذوا يتلمسون في التراث الشعري القديم كل مكرمة، وفي ألفاظه ومعانيه كل غاية، ينشدونه ويتعلمونه، ويصدرون على منواله، ومن ثم أخذ الشعر في بعض جوانبه أو قصائده يعبر لا عن حاجة وجدانية، وانما عن حاجة لغوية[١٣]. لذلك نرى الشعراء الأمويين أنفسهم ينظمون الأشعار، ويؤلفون المتون اللغوية التي تعين الجمهور الأدبي، وطلاب العلم على ذلك، وقد تمثلوا تراثهم القديم، وحاكوا نماذجه وأشكاله، فظهر في شعرهم جانب تعليمي يتصل باللغة العربية الفصيحة ونحوها وصرفها، من هؤلاء الشعراء: الطرماح[١٤]، الكميت[١٥]، وأمثالهما، الذين كان لهم نشاط لغوي وفني كبير، يخدم هذه الغاية، ويفي باحتياجاتها، فمن يرجع الى ديوان «الطرماح» يلاحظ في وضوح أن شعره يمكن أن يقسم قسمين: قسم واضح فيه مديح وهجاء، وقسم غير واضح، فيه حديث عن الصحراء وكل ما يتصل بها، وهو شعر أريد به قبل كل شيء الى تعليم اللغة بغرائبها وأوابدها[١٦]. وما هذا الشعر الغريب، المؤلف خصيصا الا شعر تعليمي، قصد به تسهيل مهمة العلماء، وتقديم مادة لهم يستخلصون منها ما هم بصدد بحثه ودراسته وتعلمه، على أن طبقة المقصّدين من أمثال الطرماح والكميت لم تبلغ في هذا الباب من التعليم اللغوي ما بلغته طبقة الرجّاز من أمثال رؤبة بن العجاج، فمن يتعقب أخبارهم في كتب الأدب، يلاحظ أن من أهم غاياتهم في شعرهم، خدمة اللغة والمؤدبين أو اللغويين القائمين عليها بما يمدونهم به من الشواذ والشوارد، بحيث أصبحت بعض اراجيزهم كأنها متون لغوية للحفظ والتسميع.

ولم يكن الشعراء وحدهم هم الذين يبذلون جهدهم من أجل هذه الغاية، بل كان يشركهم في ذلك طائفتان من المعلمين، أخذوا في الظهور مع أواخر القرن الأول للهجرة، وأوائل الثاني، وهما **طائفة المتكلمين** الذين كانوا يُعْنَون بتعليم الشباب فن الخطابة والمناظرة، ثم **طائفة اللغويين والنحويين**، وكانوا يحترفون تعليم اللغة ومقاييسها في الاشتقاق والاعراب مضيفين الى ذلك رواية واسعة للشعر القديم، ولم يكونوا يكتفون بالرواية وحدها، فقد عنوا أشد العناية بشرح ما يروونه ودرسه، وتبيين خصائصه التعبيرية والأسلوبية.

ويبدو أن حب النادر والغريب من الألفاظ كان دَيْدَن المعلمين والعلماء على السواء، بل لقد كان العصر كله مهتما أشد الاهتمام باللغة وعناصرها ومظاهرها، وقد دفعهم هذا الاهتمام الى أن يسلكوا مسلكين معا:

الأول: ارشاد الجمهور الأدبي وطلاب العلم الى منابع اللغة، وأمهات القصيد، وتحديد مواطنها، فسمعهم يقولون: «من أراد الغريب فعليه بشعر هذيل ورجز رؤبة والعجاج، ومن إراد الغريب الشديد الثقة، في

شعر ابن مقبل، وابن أحمر، وحميد بن ثور الهلالي، والراعي، ومزاحم العقيلي، ومن أراد النسيب والغزل من شعر العرب الصلب، فعليه بأشعار عُذرة والأنصار، ومن أراد طُرَف الشعر وما يحتاج الى مثله عند محاورة الناس وكلامهم، فذلك في شعر الفرسان (١٧).

أماالمسلك الثاني: فهو تفسير هذا الغريب والنادر من الأشعار، وابراز مواطن الجمال والقوة في أساليب العرب القدماء معللين مفسرين، لسد الحاجة العلمية، واستيفاء الغاية التعليمية، وهذا ما أخذه العلماء على عاتقهم حين تصدروا في مجالسهم للشرح والتفسير والتحليل والتأويل، ثم التصنيف والتأليف فيما يصلح المنطق، ويعرّف بكنوز اللغة.

التـأليف في النـوادر

نستطيع أن نقرر — بناء على ما سبق — أن التأليف في نوادر اللغة وغرائبها (١٨) بدأ في الربع الثاني من القرن الثاني من الهجرة، وبالتحديد في الوقت الذي نشط فيه رواة اللغة وعلماؤها في تدوين اللغة.. وعلى ذلك — يمكن لنا أن نعد تدوين النوادر وتصنيف كتبها جزءا من الحركة العلمية الواسعة، التي شملت تدوين وتصنيف علوم اللغة في هذا الدور. والدليل على ذلك — أن أول من ينسب اليه كتاب في النوادر هو «أبو عمرو بن العلاء» سنة ١٥٧هـ» شيخ نحاة البصرة ولغوييها، ولا ندري عن هذه الباكورة اللغوية شيئا. ثم تتابع التأليف في النوادر، فظهر — في القرن الثاني — كتب للقاسم بن معن الكوفي «سنة ١٧٥هـ»، ويونس بن حبيب «سنة ١٨٢هـ» ومعاصره أبي مالك عمرو بن كركرة، والكسائي في ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى «سنة ١٩٨هـ».

وزخر القرن الثالث بالكثير من كتب النوادر، حتى شهد أكثر من عشرين منها.. فقد ألف فيها أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي «٢٠٢هـ»، وقطرب «٢٠٦هـ»، وأبو عمرو الشيباني «٢٠٦هـ»، وأبو محمد عبدالله الأموي — استاذ أبي عبيد بن سلام، والفرَّاء «٢٠٧هـ» وأبو عبيدة «٢١٠هـ»، والأصمعي «٢١٣هـ»، وأبو زيد «٢١٥هـ» والأخفش سعيد بن مسعدة «٢١٥هـ» وعبدالرحمن بن برزج «من طبقة الاصمعي»، واللحياني «تلميذ الكسائي»، وأبو زياد الكلابي «٢١٥هـ» وأبو المنهال عيينة بن عبدالرحمن «تلميذ الخليل» وأبو مسحل الاعرابي «تلميذ الكسائي واللحياني» وابن الاعرابي «٢٣١هـ» وعمرو بن أبي عمرو الشيباني «٢٣١هـ» وعلي بن المغيرة الأثرم «٢٣٢هـ» وهارون بن زكريا الهجري، وابن قتيبة «٢٧٦هـ»، وأبو حنيفة الدينوري «٢٨٢هـ»، والحسن بن عُلَيل العنزي «٢٩٠هـ»، وثعلب «٢٩١هـ» ونصر بن مضر الأسدي، ورواه عنه محمد بن الحجاج بن نصر الأنباري، ورآه ابن النديم في نحو مائة وخمسين ورقة.

في القرن الرابع الهجري - ألف في النـوادر مجموعة من العلماء منهم

أبو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي «٣١٠هـ» وابراهيم بن السرى الزجاج «٣١١هـ» وأبو بكر محمد بن الحسين بن دُرَيد «٣٢١هـ»، وأبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد — غلام ثعلب «٣٤٥هـ» وأبو علي القالي «٣٥٦هـ»، والحسن ابن عبد الرحمن الرامهرمزي بن خلاء «٣٦٠هـ»، وعلي بن حمزة البصري «٣٧٥هـ»، والقاسم بن محمد الديمرتي «كان في عهد عضد الدولة ٣٦٧ — ٣٧٢هـ»، وأبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني «٣٨٦هـ»، وأبو الفتح عثمان بن جني النحوي «٣٩٢هـ»، وأبو هلال العسكري «٣٩٥هـ»، وصاعد بن الحسن الأندلسي «٤١٠هـ» الذي ألف كتاب «الفصوص في النوادر والغريب والأدب والأشعار»، على غرار نوادر أبي علي القالي.

وفي الحقيقة لقد سقط معظم هذه الكتب من يد الزمن، ولم يبق منها الا النذر اليسير، أشهرها على الاطلاق كتاب «النوادر» لأبي زيد الانصاري (١٩). حيث أقام أبو زيد بناءه على مقطوعات وأبيات من الشعر والرجز ثم حُشِيَ وشرح وأضيف اليه من علم عامة رجال البصرة والكوفة وبغداد. ومع أن الرواية الأولى في صدر الكتاب تنتهي الى الأخفش عن رجال بصريين، فان باقي الصفحات تحمل عِلْما عن ابن الاعرابي واللحياني، والفراء، وثعلب، والأخفش من رجال الكوفة □

---

(١) المزهر ١/٢٣٤ «طبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٥٨م».
(٢) اصلاح المنطق ص/٢١٨ وانظر اللسان مادة «دقق».
(٣) اصلاح المنطق ص/٢١٩.
(٤) «النوادر في اللغة» ص/١٢٠ وانظر أبي مسحل ١/١٦٤. واصلاح المنطق ص/٢١٨. والأحم: الأقرب، والنأي: الفساد، وأراد واحدا فقال جانبا، وقوله: اللتيا والتي يضربه للشدة.
(٥) «النوادر» ص/١١٩
(٦) «النوادر» ص/١٦٩
(٧) «النوادر» ص/٢٥.
(٨) «النوادر» ص/١٣٦.
(٩) انظر مادة «جردب» في اللسان. وقولهم «لا تجعل شمالك جردبانا»، مثل يضرب للحريص الذي يريد الشيء كله لنفسه.
(١٠) المزهر ١/١٣٩
(١١) سورة الأنبياء ٢١/١٠٣.
(١٢) كانت علوم الأدب في رأيهم — كما ذكرها ابن الأنباري — ثمانية: النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم «انظر» نزهة الألباء ص/٦١ الطبعة القديمة.
(١٣) الدكتور شوقي ضيف. «التطور والتجديد في الشعر الأموي» ص/٩١ طبع دار المعارف بمصر.
(١٤) كان الطرماح مؤدبا للصبيان في الكوفة والري، انظر «البيان والتبيين» للجاحظ ٢/٣٢٣.
(١٥) كان الكميت من المؤدبين المعلمين، انظر «الشعر والشعراء» ٣٦٨.
(١٦) «التطور والتجديد» ص/٩١.
(١٧) أبو أحمد العسكري: «المصون في الأدب» ص/١٧٣
(١٨) انظر في كتب النوادر: «الفهرست» لابن النديم ص/١٣٠، و«المزهر» للسيوطي ١/٢٣٤، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة ٢/١٩٨٠.
(١٩) طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٩٤م

ملامح من الأدب الاسلامي:





بقلم: فاضل السباعي / دمشق

ولد «هشام» ونشأ بين أهله في مكة المكرمة. وتخرج في كلية الهندسة بجامعة الرياض، قبل أن يلتحق ضابطا مهندسا في القوات المسلحة. وفي مدينة «حائل»، التي عيّن فيها بحكم عمله، خطب الفتاة «هيا» تزوج منها. ثم ما لبث أن مضى الى الولايات المتحدة الامريكية للتخصص في الهندسة، حيث قضى هناك سنته الأولى وحيدا في دورة اللغة، قبل أن يضم زوجته اليه في سنوات الدراسة التالية.

ذلك هو، في لمسة سريعة، الخط العام لرواية «فتاة من حائل»، التي كتبها الأستاذ محمد عبده يماني ونشرها في الرياض عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)... فأين موقعها من الأدب الاسلامي، الذي يجري تشخيصه والتعريف به في الساحة الأدبية اليوم؟

ولكن... ما هو مفهوم «الأدب الاسلامي»؟

يرى بعضهم أن «الاسلامية» لا تطلق الا على الأدب الذي يحمل خصائص اسلامية صريحة ومباشرة، سواء في ما يعنى به هذا الأدب من تصويره للسلوك الاسلامي، أو في معالجته لجانب من جوانب الحضارة والتاريخ الاسلاميين... وأما ما سوى ذلك فهو «أدب عام».

وآخرون يرون أن «الاسلامية» في الأدب هي أوسع مدى من هذه الدائرة المباشرة، فكل ما في الكون أو النفس، من تأكيد على قيمة جمالية أو خيرية أو ارتقائية، انما يدخل في نطاق «الأدب الاسلامي»... حتى ان أحدهم يلغي الحدود كلها أمام هذا الأدب، الذي يراه «يمتد وينتشر ويتوغل أفقيا وعمقيا لكي يغطي كل زاوية، ويعبر عن كل تجربة، شرط ألا يخرج أو يتجافى — بطبيعة الحال — مع معطيات الرؤية الاسلامية وقيمها وبداهاتها» [١].

انّا لنتساءل، في ظل المفهوم الواسع المصطلح «الأدب الاسلامي»، عن التجربة التي رصدتها الرواية، وعن القيم التي عملت على تأكيدها وترسيخها في توالي صفحاتها التي بلغت ثلاثمئة وخمسين عدا، وعن مدى توافق ذلك كله مع السلوك الاسلامي ومثله العليا؟

بدا لنا بطل الرواية، هشام، منذ الصفحات الأولى، شابا لطيف المعشر في تعامله مع زملائه الجامعيين، «عبد العزيز» و«عمر» و«تركي» و«صلاح»، و«علاء» فيما بعد لا تشوب علاقته بهم شائبه، واذا كان أحدهم — وهو صلاح — على شيء من «عجرفة» أباحت له السخرية الناعمة من هشام — ساعة تبين لزملائه أنه أخفق في النجاح بدرجة «جيد جدا» التي كان يرنو اليها ليمسي معيدا في كليته — فان من تصدى للرد على السخرية لم يكن هشام على كل حال، بل واحدا من الزملاء هو تركي. وكانت نهاية «الموقف الساخن» ان المتهكم تعلل بأنه كان يمزح، وأن المتصدي «هزت» كلماته، غير المتوقعة، زملاءه «فتركهم جامدين صامتين» «الصفحة ١٩» [٢]. ولعل هذا الحوار، الذي

دار بين هشام واصدقائه في بداية الرواية، يجسد جانبا من السلوك الذي اتبعه هشام، ومن ورائه المؤلف، في فصول الرواية حتى آخرها.

وهشام، الضابط المهندس، ديّن تقي لا يغفل عن ذكر الله في السر والعلن [٣]، ولا يفوته أن يؤدي الصلاة في الحرم المكي الشريف كلما زار مسقط رأسه. وقد رأيناه في أول ليلة يحل بها في مكة عقب نجاحه في الهندسة، يطوف في البيت العتيق ويصلي الفجر، ثم «انتحى ركنا من الحرم الشريف، أخذ يستعيد فيه ذكرياته في المدينة الطاهرة، وفي مسجدها الحرام، اذ كان يجد في أروقة المسجد ملاذا يفيء اليه وهو يستذكر دروسه..» (ص ٨٢). ويوم عاد من أمريكا الى الأهل، ما ان تصاعدت «أصوات المؤذنين في هدأة الليل، تدعو الناس الى صلاة الفجر» حتى نهض «وارتدى ملابسه ليتوجه، مع أبيه، الى المسجد الحرام، ويكحّل عينيه بمرأى كعبته المشرفة، ويؤدي في رحابه الطاهرة صلاة الفجر» (ص ٢٧٦).

وهشام بر بوالديه، يحرص على طاعتهما والتنعم بما يغدقان عليه من المحبة والرضى. ومن هنا كان أسفه شديدا لأنه لم يتح له، بسبب تسارع الحوادث، أن يرجع الى أهله في مسألة زواجه من هيا التي كانت في حائل، مما جعله يصرّح لابن حميه ناصر: «انني أشعر بشيء من تأنيب الضمير (على) أنني لم استشرهم أو لم أخبرهم على الأقل...»! (ص ١٣٠). والحق، لقد كان في «تقصير» هشام، هذا، تجاوز للتقاليد المتبعة في العالم الاسلامي، استحق عليه أن يتلقى من أبيه في مكة عتابا: «أليس لك أهل» يخطبون «لك كما يفعل الناس؟»، وذلك قبل أن يتساءل باستغراب: «وعقد لك (أي أبو هيا) عليها أيضا؟». وههنا، يكون الندم والأسف قد بلغا بهشام غايتهما، فيكب على يدي والده يقبلهما ويقول: «سألتك الله يا أبي أن تصفح عني (...ان) الأمور جرت بشكل لم أكن أتوقعه...» (ص ١٣٦ و١٣٧).

على أن ما يستحق أن نتوقف عنده وقفة متأنية، هو سلوك بطل «فتاة من حائل» في مواجهة المرأة.. ليس المرأة بصفتها أما وأختا وحسب، بل المرأة خطيبة أو زوجة، وزميلة مجالسة ومرافقة.

والواقع أن الرواية لم تعن كثيرا بالكشف عن مشاعر هشام نحو أمه [٤]. وأما شقيقاته الثلاث، فقد ضاعت الصغريان في زحمة الحوادث والشخوص، وتضخمت — على حسابهما — مكانة الشقيقة الكبرى «رجاء»، التي ظلت مشاعر هشام نحوها — على أهمية هذه المشاعر — في مرتبة أدنى مما يقابلها، أعني: مشاعر رجاء نحو أخيها نفسه!

لقد رأينا رجاء، الطيبة، تأخذ على عاتقها — كشأن الأخوات المحبات في مجتمعاتنا الاسلامية — مهمة أن تخطب لأخيها احدى صديقاتها، «فاطمة»، ولكن بدا أن هشام لم يأخذ هذه «المساعي الحميدة» مأخذ الجد. وهو على كل حال، لم يلتق بأخته في بيت أهله بمكة — كما حدثتنا الرواية — الا عقب تخرجه في الجامعة، ثم التحق منذئذ بالدورة العسكرية، ومنها الى حائل.

وبين الآمال التي تعقدها الشقيقة رجاء، وبين اختبارها لمشاعر أخيها برسائل منها اليه وهو في اقامته بعيدا عن البيت بحكم العمل، يلمح هشام، ذات يوم، وهو يدخل بيت صديقه ناصر في حائل، طيف فتاة... ليس «أكثر من قوامها الأهيف، ومشيتها السريعة، وجانب من وجهها، فأشاح بوجهه خجلا وتأدبا، وسارع الى الدخول لقاعة المجلس..» (ص١٠٣). ولكنه، وهو في القاعة، لم يستطع أن يبعد صورتها عن خياله.. ويتساءل: أهي من أهل البيت؟ أخت لناصر؟ وهذا الشعور الذي هزّه حتى الأعماق: «أهو الحب من أول نظرة، كما يقولون في القصص والروايات؟» (...وارتسم في ذاكرته) وجهها البريء، وعيناها السوداوان، ووجنتاها الموردتان، ومشيتها السريعة التي يميس معها قدها برشاقة عجيبة..» (ص١٠٤). وفي أثناء ذلك، ينفجر في أعماقه تأنيب الضمير: «كيف يسمح لأفكاره أن ترود هذه الآفاق جميعها وهو في البيت الذي يضم تلك الفتاة؟ أليس هذا خطأ في حق أهل البيت؟ (ص١٠٥).

ومهما يكن من أمر، فان الفتاة، التي لمحتها عينه تلك اللمحة الخاطفة فهفا قلبه اليها، قد أصبحت، على نحو سريع، حليلته التي تشاطره عش الزوجية السعيد. ولقد كان جديرا بأن يكون رفيقا بزوجته، عطوفا عليها.. لولا «قسوة» بدرت منه — لم نتوقعها نحن القراء — يوم عزم — ثم لم يشأ العدول — على السفر الى أمريكا وحيدا — وهو بعد عريس أشهر لم يزل — لدراسة اللغة طوال سنته الدراسية الأولى [٥]. ولكننا نذكر له بالخير، وفاءه الصادق للزوجة، وهو في ديار الغربة، وكل ما عمر فؤاده من شوق وحنين. فلما آن له أن يزور الوطن لقضاء اجازته، يعترف بين يدي الزوجة المحبة المنتظرة: «لن نفترق بعد الآن أبدا ان شاء الله. لقد ثبت لي أن رأيك كان هو الأصوب، وأن ما زعمه بعض الزملاء حول مستلزمات دراسة اللغة الانجليزية لا ينطبق كل الانطباق على الواقع، وما كان ضرني لو أنني اصطحبتك وعشت حياتي بصورة طبيعية..؟» (ص٢٧٥) [٦].

حياة الزوجين معا في بلدة «ماونت بلزانت» الأمريكية، يذر قرنه بينهما خلاف ما مرده — غالبا — الى تمسك هيا بارتداء ذلك الثوب السابغ الذي اعتادت الخروج به في الوطن، والى ما يبدو منها كذلك من «ردود فعل» تجاه بعض الأمور والمواقف التي باتت تواجهها في ذلك العالم الجديد. ويوم يبلغ الخلاف بينهما حدا يجعل لسان الزوج ينطق بهذا الاقتراح الخطير: «هل تعتقدين.. أنه قد يكون من المناسب أن.. أن تعودي الى المملكة؟»، لم يكن بد من أن يشعر، هشام الدمث «بالخجل والألم» معا، فيعتذر لزوجته في غير تردد: «هيا.. أنا آسف.. سامحيني.. لقد كانت «جملتي» تلك هفوة جاءت بغير تفكير.. انك تملأين عليّ حياتي، هنا وهناك وفي كل مكان، وما كان يجوز لي أن أنطق

بها..» (ص٣٠٦ و٣٠٧).

ولكن... ما موقف هشام من المرأة، زميلة في الجامعة قد اتخذ منها رفيقة وصديقة؟ لقد عرفنا في هشام شابا خلوقا تقيا وتطهري النزعة [٧]، وهو، من قبل ومن بعد، حييّ خجول. ويوم زيّن له أحدهم أن يرافقه الى حيث تقام حفلة من تلك الحفلات المختلطة، فوجد نفسه وسط حلقة قد تماسكت فيها أيدي زملاء الفصل وزميلاته وهم يتصايحون فرحا به، «ثم ما لبث بعض الشباب أن حملوه على أكتافهم وهم يغنون»، كان لا بد من أن يعد ذلك «ورطة مزعجة»! (ص٢٢٤). وعد، أيضا، ضربا من «الجرأة» التي لم يكن يتصورها في نفسه، «أن يتقدم، بتلك البساطة، الى مائدة الفتيات «اللاتينيات» (... مستأذنا اياهن): «هل لي أن أجلس؟»! (ص ٢٣١ و٢٣٢). وعندما أخذ واحد من الطلاب العرب — هو على خجل يضاهي خجله! — يستفيض في الحديث: «لقد كنت أكاد أموت من الرعب اذا خاطبتني احدى الفتيات.. وأشعر وكأنني أصبت بالخرس اذا سألتني احدى الزميلات عن شيء.. أحس بالأرض تكاد تميد بي اذا لمست يدي يد احداهن...»، فان هشام يبتسم في اصغائه له محدثا نفسه: «ليته يعلم أنه يكاد يصف حالتي تقريبا، لولا أنني على ما يبدو أقوى أعصابا منه..» (ص٢٥١).

فأي «تغيّر» طرأ على هشام، التقيّ الحييّ، وهو في العالم الجديد وحيدا؟

لقد تعرف، في سنته الدراسية الأولى، الى الطالبة «باتريشيا»، ولنقل: انها — هي — التي سعت للتعرف اليه! تدعوه — هي أيضا — الى مراقصتها، فيعتذر! تعرض هي — ثالثة [٨] — عليه صداقتها: أريد «أن تهتم بي ولو قليلا (...و) أن أجد عندك ما افتقدته عند الآخرين من حنان»! (ص٢٣٧ و ٢٣٩)، فيجيبها: «انني رجل متزوج... وشديد الاخلاص لزوجتي... ولي مهمة معيّنة جئت الى هذه البلاد من أجلها...» (ص٢٣٨) [٩].

بعد أن دب خلاف بينه وبين هذه الفتاة [١٠]، أقبل — هو نفسه — على الطالبة «جين»، وهي في الكافتيريا، محادثا ومجالسا! ولئن كان دافعه الى ذلك، في البداية، هو «اثارة» الصديقة الأولى واغاظتها، وقد كان يتوقع دخولها الى المكان تلك الساعة، لقد لاح لنا أن هشام قد «استمرأ» فيما بعد هذا السلوك، حتى بعد أن عاد الى الجامعة في السنة التالية مصطحبا زوجته، فقد التقى بجين «في أحد أروقة الجامعة حيث كان في طريقه لحضور احدى المحاضرات» (ص٣٢٦)، وذلك صباح يوم كان قد نشب، في عشيته، خلاف جديد حاد بينه وبين هيا... وبدلا من أن يتابع الطريق الى المحاضرة، ترخص بأن سمح للطالبة أن تتأبط ذراعه»، ومضى بها «الى الكافتيريا، ومنها الى الحديقة، ثم توجها الى مطعم تناولا فيه طعام الغداء، وبعدها توجها الى احدى دور السينما، ومن ثم ذهبا الى مطعم آخر لتناول العشاء» (ص٣٣١).

ولقد ظل هشام في مرافقته لهذه الفتاة على توالي الأيام، منصرفا عن محاضراته ودراسته... حتى انتهى الفصل الدراسي، فاذا هو من الراسبين، وتلك هي الخطيئة الفادحة — مقدمة ونتيجة — التي ارتكبها هشام، التقي والمجد، وهو في غربته، والتي أرادت الرواية أن تجسدها للقاريء ليتبين الأبيض من الأسود، متعرفا الطريق الصحيحة التي ينبغي سلوكها.

ثم ان الاستاذ محمد عبده يماني، يمضي فيبين لنا كيف تمت معالجة نتائج هذه السقطة. وقد شاء أن يمنح الزوجة هيا الفضل كل الفضل في الخروج من هذا المأزق.. وذلك بحل تفتق عنه ذهنها الوقاد، فنال به هشام نجاحا يستحقه، ونالت هي نجاحا كانت تطمح اليه... على نحو ما قصّت الرواية خبره في فصولها الأخيرة ☐

مراجع:

١— رأي الدكتور عماد الدين خليل (الموصل)، في الندوة التي أعدها الدكتور عبد الحليم عويس بعنوان «الأدب الاسلامي: القضية والحل»، مجلة «الفيصل»، العدد ٦٣ رمضان ١٤٠٢ (تموز ١٩٨٢).

٢— رأينا المؤلف حريصا على ألا يدع صورة صلاح تظل ماثلة في ذهن القاريء على هذا النحو حتى النهاية! فقد تبين لنا، في لقاء جمع بين الزميلين في الرياض بعد نحو ثلاثة أعوام من التخرج، أن صلاح قد تخلى «عن كبريائه وعنجهيته اللتين عرف بهما بين زملائه من قبل في الكلية، وغدا انسانا ودودا وطبيعيا في تصرفاته (ص١٦٣).

٣— يرد هشام قوله، على مسمع من زوجته التي تؤكد له أنها لا ترضى له «أقل من الدكتوراه»: «باذن الله يا حياتي.. باذن الله..» (١٥٥). ولحظة أعلن قائد الطائرة التي تقله الى نيويورك على مسمع من الركاب: «اننا نعاني بعض المتاعب» (ص١٩٤) وأوصاهم بأن يشدوا الأحزمة جيدا، فان هشام لم يساوره خوف من ذلك قط، «وكان الايمان الذي يملأ كل جارحة فيه، يجعله على يقين من أن ما قدره الله هو الكائن» (ص١٩٦). وساعة أقلعت به طائرة العودة الى الوطن بعد عام من الغياب، كان «يتمتم، في سره، بعبارات الحمد لله والشكر له.. على ما أفاء عليه من نعمائه، وما حقق له، بعونه، من توفيق ونجاح» (ص٢٦٨).

٤— ولقد جاءت صورة حماة البطل، أم هيا، باهتة الظلال أيضا، بل أشد غيابا من حماة ابنتها، حتى اننا لم نحس بحضورها الا في مرات قليلة وخاطفة لم نكد نسمع منها خلالها كلمة واحدة، وذلك ما جعل من العسير البحث والحديث عن العواطف المتبادلة بينها وبين صهرها.

٥— مستجيبا، في هذا القرار الفجائي، لما أسرّ به اليه واحد من زملاء الجامعة القدامى، علاء: «... أما اذا كانت عائلة المبتعث، من زوجة وأولاد، معه، فهو سيضطر للحديث في البيت بالعربية، وبذلك يضيّع في المساء ما اكتسبه في الصباح»!

٦— مما استرعى انتباهنا، نحن القراء، أننا لم نر هشام، ليلة وصوله الى مكة بعد غياب عام، وهو يعانق زوجته أو يضمها الى صدره في لوعة المشتاق. لقد «عانق هشام أخته (رجاء...)، وخرج الجميع (للقائه)، واختلطت الضحكات مع أصوات القبلات، يطبعها الأب والأم والأختان الأخريان». وأما هيا، التي وقفت ترقب اللقاء بين زوجها وأهله، فكان نصيبها أن «تشابكت الأيدي في لقاء غلب فيه التأثر على الزوجين الشابين..» (ص٢٧١)... أهو حياء من بطل الرواية، أم من مؤلفها؟!

٧— ذكرنا، آنفا، ما انتابه من تأنيب الضمير ساعة سمح لأفكاره أن ترود آفاقا في شأن الفتاة التي لمحها في دخوله بيت أهلها.

٨— انه... «الرجل الشرقي»، الذي يموت حبا بالنساء وتوقا اليهن، ومع ذلك يحلو له أن يتصور نفسه مطلوبا مرغوبا منهن!!

٩— تقول الرواية ان هشام استجاب لدعوة هذه الفتاة بأن يكونا صديقين وحسب.. وقد كان «في علاقته بباتريشيا، يعتبر أنه يؤدي عملا انسانيا، لا أكثر ولا أقل، فهو قد حافظ على حدود معينة في هذه العلاقة، لم يسمح لنفسه — ولا للفتاة — بتجاوزها قيد شعرة..»! (ص٢٤٢).

١٠— رآها، ذات يوم، في حديقة الجامعة.. وهي «تعانق شابا أسمر اللون» (ص٢٤٦).

الغروب

شعر : عبدالله نجم المنصور / البصرة

يؤرقني غروبك يا شباب ... ويؤلمني التراجع والـيباب
فقد كان الطريق لديك سهلا ... وقد صار الطريق هو الصعاب
وقد كنا نردّ بك العوادي ... اذا ما لاح في البحر اضطراب
فصرنا لا نجيد سوى التراخي ... ويقفز في مطالعنا العتاب

يؤرقني غروبك والتنائي ... وكون يستبدّ به الضباب
وليلات سهرت مع الحيارى ... أشارك كل من أملوا وخابوا
أناجي كلّ شاردة بعيدا ... وقد أعيا التقارب والإياب
وقد ناديت من ذهبوا ولكن ... تناسى الذاهبون فما أجابوا

تروح السارحات بنا بعيدا ... فنذكر كلّ من مروا وغابوا
تألق نجمهم صُعُدا وعادوا ... نزولا مثلما يهوي الشهاب
وما زالت ملامحهم تراءى ... وما زلنا من الذكرى نصاب
تروح السارحات بنا بعيدا ... فنقرأ كلّ ما احتمل الكتاب
ولوع. حرقة وجوى تمادى ... وداعي الشوق يشعله اضطراب
وما كنا لنفعل أيّ شيء ... وان كثر التغرب والعذاب

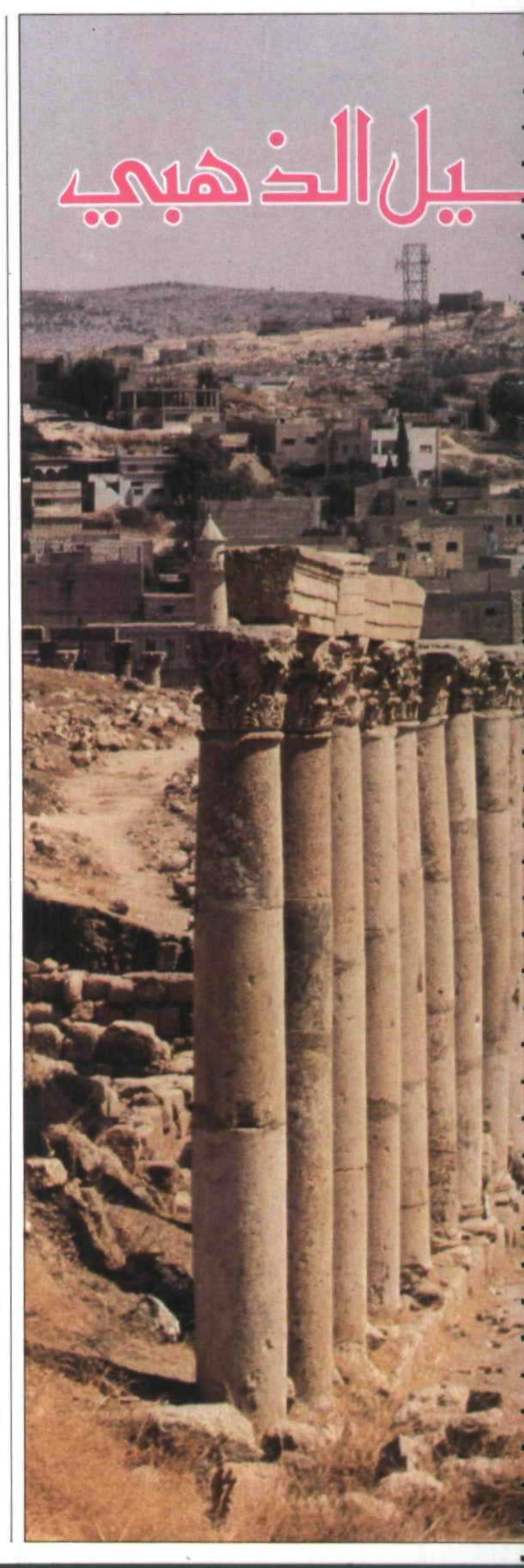
يروّعني غروبك حين تمضي ... فلا تزهو الوجوه ولا الثياب
ولا من قائل شيئا مسرا ... به ينسى التألم والمصاب
ولا من ملفت نظرا ودودا ... ولا من بسمة فيها الجواب
يجيء اليوم أو يمضي بطيئا ... فلا يعني المجيء ولا الذهاب
سراب كل أكداس الأماني ... وأوهام منغصة وصاب

جولة القافلة في الاردن :

جرش ... مدينة الروائع الأثرية والس

بقلم: سليمان نصر الله / هيئة التحرير





وعادت الحياة الى ربوع مدينة جرش الأثرية في الأردن، بافتتاح المهرجان الدولي للثقافة والفنون في شهر اغسطس ١٩٨٣، وتوافدت جموع المشاهدين على ساحاتها الفسيحة ومسارحها الرحبة كسيل جرش الذهبي، فبدت تلك الجموع كأنها كرنفال رائع الألوان تظللها أعمدة كورنثية جميلة تعانقها شمس الأصيل، وتخلع عليها وشاحا ذهبيا، قبل أن تسحب ذيولها خلف أشجار الصنوبر وهي تجنح نحو المغيب.

الاردن مهد الحضارات الغابرة

تنتشر في ربوع الأردن، على صغر مساحته، معالم تاريخية وأثرية تعكس صورا زاهية للحضارات الغابرة التي تعاقبت على أرضه. وقد ساعد على ذلك موقعه الاستراتيجي بين البحر الأبيض المتوسط وشبه الجزيرة العربية، فكان ملتقى الطرق التجارية الرئيسية. ولهذا فهو اليوم أشبه ما يكون بمتحف عالمي مفتوح، يضم آثار الشعوب التي مرت به أو استقرت فيه. فالأردن يتمتع بتاريخ حافل ذي سمات متميزة وأهمية غير عادية. فمنذ العصور الحجرية الأولى، وحتى العهد الاسلامي والأردن يحفل بمعالم الشعوب وتذكارات العصور السالفة، كبقايا المدن الكنعانية المسورة، والقصور والمسارح والهياكل والقناطر التي خلفها اليونان والرومان، والمعابد والأديرة البيزنطية، والقلاع الصليبية، والمساجد،والقلاع،والقصور الاسلامية، الى غير ذلك من معالم بارزة يشاهدها الانسان أينما حل في ربوع الأردن حيث الجبال الشامخة، والأودية العميقة، والهضاب العالية، والصحاري ذات الرمال الأرجوانية. فهناك وادي القمر أو ما يعرف بوادي رم، والبتراء المدينة الوردية خدينة العهود السحيقة، وفيلادلفيا أي عمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، وجرش ذات السيل الذهبي، وجادارا أي أم قيس مدينة الحكماء والفلاسفة المتربعة على قمم الجبال الشامخة، والأزرق الواحة الغناء، بقلعتها السوداء بين برك الماء حيث تحلق أسراب الطيور المهاجرة، وعجلون حيث قلعة الربض الحصينة، والكرك بقلعتها العتيدة الضخمة، ومأدبا ذات الخرائط الفسيفسائية الفريدة، الى غير ذلك من المواقع الأثرية الرائعة، التي تروي شيئا من تاريخ الأقوام التي عاشت في الأردن، كالكنعانيين، والعمونيين، والمؤابيين، والأدوميين، والمصريين، والبابليين، والفرس، واليونان، والرومان، والبيزنطيين، والصليبيين. وعندما ظهر الاسلام كانت هذه البلاد منطلقا لجيوش الفتح الاسلامي من الجزيرة العربية الى أرجاء العالم الأخرى. ولهذا فان الأردن يجتذب اليه اليوم أعدادا كبيرة من السياح من مختلف أنحاء العالم للوقوف على معالمه الأثرية، ومشاهدة مرافقه السياحية الجميلة. وفي سبيل تنشيط الحركة السياحية في الأردن تتضافر جهود القطاعين العام والخاص، كوزارة السياحة والآثار، والخطوط الجوية الملكية الأردنية

(عاليه)، والشركات والمكاتب السياحية وغيرها. وما مهرجان جرش الدولي للثقافة والفنون، الذي أقيم في مدينة جرش الأثرية، الا ثمرة طيبة للجهود الرامية الى اجتذاب الزوار والسياح الى الأردن. فكان هذا المهرجان حدثا هاما في حياة الأردن عامة ومدينة جرش خاصة، لأنه أضاف بعدا ثقافيا وفنيا مهما للمجتمع الأردني والعربي، وغدا مصدرا لدعم الكفاءات والمواهب، وأقام جسراً للتفاعل والاتصال الثقافي والانساني بين الأردن ومحيطه العربي وأقطار العالم وشعوبه.

١


٢

جوهرة مدن حلف الديكابوليس

تبعد جرش عن عمان ٤٨ كيلومترا الى الشمال، ويربطها بالعاصمة الأردنية طريق معبد حديث، كثير التعاريج، يخترق التلال والجبال والأودية المكسوة بالأشجار المثمرة والأشجار الحرجية. وتبدو جرش من بعيد كميناء صغير على بحر أخضر، حيث تكتنفها الجبال الخضر، وتنتشر حولها كروم العنب وحدائق التين والزيتون والرمان واللوز والمشمش، وبساتين الخضروات المتنوعة، وغابات الصنوبر الكثيفة. وتقوم جرش الحديثة والقديمة فوق حوض ترابي خصيب تحيط به الجبال، ويشطره وادي جرش الى شطرين. أما بلدة جرش الحديثة فتنتشر بيوتها على الضفة الشرقية من الوادي الذي أطلق عليه الرومان اسم «السيل الذهبي — Chrysor Hoas» نظرا لخصوبته.

ويعيش أهالي جرش، البالغ عددهم نحو خمسة عشر ألفا تقريبا، حياة هادئة رتيبة، بعضهم يعمل في زراعة الخضروات والفواكه، وبعضهم يزاول الأعمال التجارية في الحوانيت الصغيرة المنتشرة على الشارع الرئيسي فيها، أو أعمال البناء حيث تشهد المدينة حاليا حركة عمرانية نشطة. ويعود تأسيس البلدة الحديثة الى عام ١٨٧٨م حينما وفدت الى هذه البقعة مجموعة من «الشركس» آثرت حكم السلطان العثماني على حكم قيصر روسيا، فأقامت مساكنها على الضفة الشرقية من الوادي، مستخدمة الحجارة التي وجدتها من البقايا الأثرية. أما جرش القديمة فيقوم معظمها على الجانب الآخر من الوادي الخصيب. في هذا الموقع الطبيعي الجميل، أقيمت جرش في العصر الهليني، كواحدة من أغنى الحواضر في ذلك العصر. فهي بأقواسها ومعابدها، ومسارحها، وساحاتها، وأعمدتها، وحماماتها، تعتبر مثالا فريدا للمدينة الرومانية القديمة، وتعتبر احدى المدن الثلاث في الشرق الأوسط اضافة الى البتراء وتدمر. وهي من وجهة نظر أثرية تعتبر مدينة رومانية كاملة، نظرا لطريقة تصميمها، ومحافظتها على طابعها العام، ومعالمها الرئيسية، منذ انشائها في الفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي. وفي غضون القرنين الأول والثاني بعد الميلاد نمت ثروتها وازدهرت تجارتها، وتوثقت علاقاتها مع الدول المجاورة

٣



٤



١ — بلغ الرومان شأوا بعيدا في فن الزخرفة والنقش.
٢ — تاج كورنثي بديع يكلل احد الأعمدة في مدينة جرش الأثرية.
٣ — جانب من أعمدة جرش الأثرية.
٤ — المدرّج الجنوبي الذي يتسع لنحو خمسة آلاف متفرج.

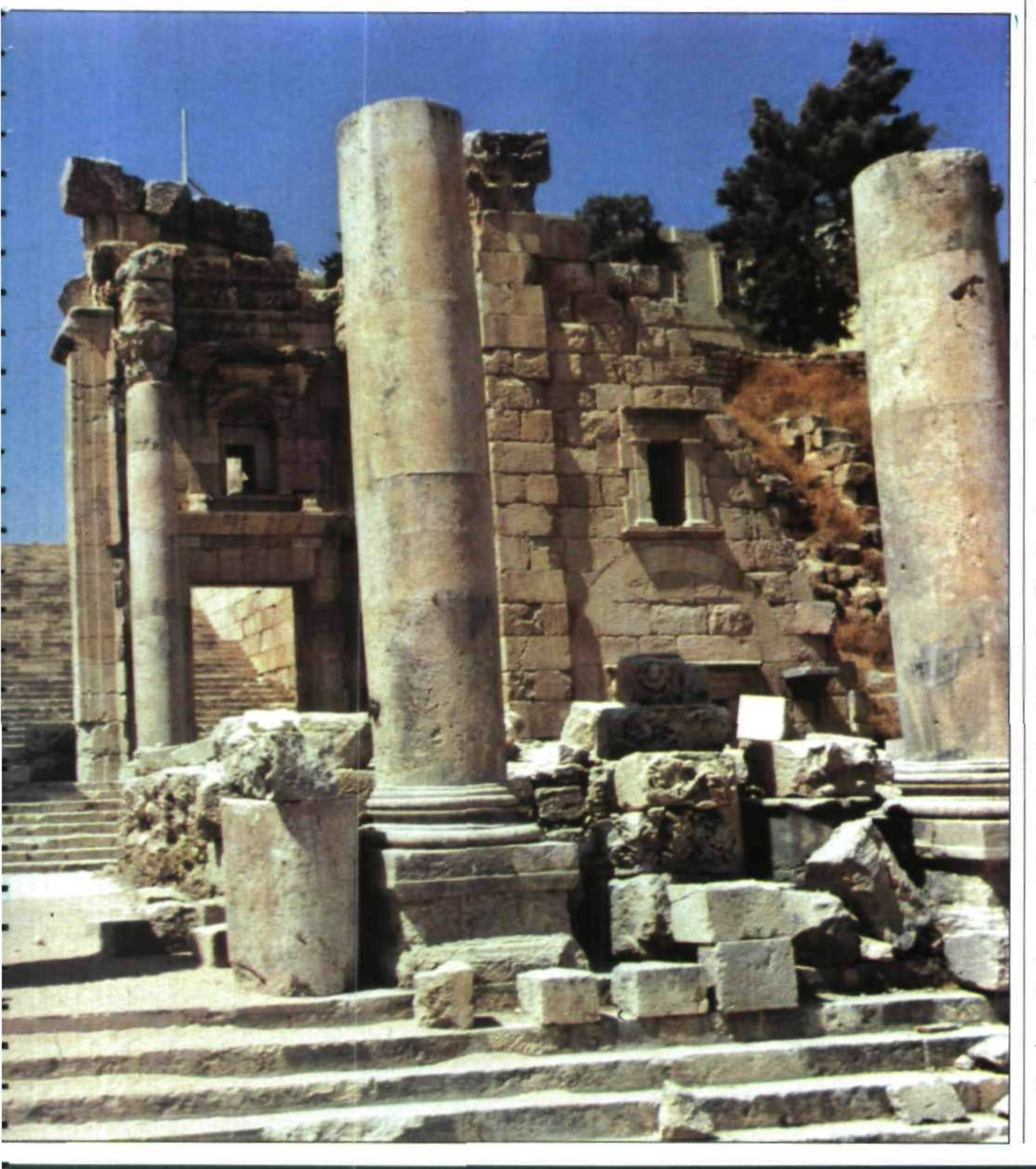
ولا سيما مع الأنباط العرب، ووصلت أوج عظمتها في مستهل القرن الثالث للميلاد. ثم تلا ذلك هبوط مستمر في حضارتها نتيجة لتحول الطرق التجارية عنها. وقد كانت تسمى قديما «انطاكية الواقعة على النهر الذهبي» ثم أطلق عليها فيما بعد اسم «جراسا — Gerasa » لكثرة ماكان يحيط بها من الشجر والغراس، ومن هنا جاء اسمها المتداول جرش. وقد اختلفت الروايات في أمر تأسيسها، فمن المؤرخين من يعزو ذلك الى الاسكندر المقدوني، وفريق آخر يعزوها الى البطالسة في مصر، علما بأن الحفريات التي أجريت فيها تدل على أن هذه البقعة كانت مأهولة منذ العصر النيوليتي (٦٠٠٠ ق. م.). ومهما يكن من أمر فان جرش مرت بعصر ذهبي جعلها بمثابة المركز الأمامي للحضارة الغربية، وذلك ابتداء من عام ٦٣ ق. م. حينما ألحقها القائد الروماني الشهير «بومبيوس — Pompeus » بالمقاطعة السورية، مع بقائها متمتعة بالحكم الذاتي. ثم أدخلت في حلف المدن اليونانية الحرة العشر، أو ما يعرف بحلف «الديكابوليس — Decapolis » التي تمثل الحضارة الهلينية الرومانية المشتركة، فكانت جرش واسطة العقد بين هذه المدن.

وفي العهد البيزنطي، عاشت جرش نهضة عمرانية كبيرة تتمثل بأبنيتها الفخمة من معابد، وحمامات، وأسواق. وفي عام ٦١٤م اجتاحت جيوش الفرس المنطقة واحتلت جرش ودمرت الكثير من مبانيها. ثم جاءها الفتح الاسلامي عام ٦٣٦م بقيادة شرحبيل بن حسنة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وبقيت جرش في ظل الفتح الاسلامي مركزا للمواصلات والتجارة. وقد عرف العرب المسلمون ما لجرش من عظمة وقيمة. فقال عنها ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: «جرش، هذا اسم مدينة عظيمة كانت، حدثني من شاهدها وذكر لي أنها خراب، وبها آبار عادية تدل على عظم، قال: في وسطها نهر جار يدير عدة رحى عامرة الى هذا الغاية، وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى».

وقد تعرضت جرش لسلسلة من الزلازل والهزات الأرضية العنيفة والحروب الضارية، تركتها خرائب وأطلالا، بقيت مجهولة ردحا طويلا من الزمن حتى عثر عليها السائح الألماني «سيتزن — Seetzen » سنة ١٨٠٦م. ولقد كانت بعض خرائب جرش ماثلة للعيان، عندما مر بها بعض الرحالة الأوروبيين، أمثال عالم الآثار السويسري «بيركهاردت — Burckhardt »، مكتشف البتراء، في مطلع القرن التاسع عشر. وبقيت هذه المدينة العريقة على حالها حتى سنة ١٩٢٠، عندما بدأت آنذاك عمليات الحفر والتنقيب عن آثارها التاريخية. وقد خصصت الحكومة الأردنية حوالي ثمانية ملايين دينار أردني ضمن خطة التنمية الخمسية (١٩٨١—١٩٨٥) لقطاع الآثار، لاعادة تعمير مدينة جرش التاريخية وترميم معالمها، التي يعتبرها الخبراء وعلماء الآثار من أروع المعالم التاريخية التي شهدتها عصور الامبراطورية الرومانية في تلك المنطقة.

معالم اثرية تعكس طرازاً معمارياً رفيعاً

يقف المرء مشدوها ازاء ما يشاهده في جرش العريقة من مدرجات، وهياكل، وأعمدة ضخمة، تقف شامخة تقاوم عاديات



الزمن وعوامل الطبيعة. ان هذه المعالم الأثرية في جرش لتقف خير شاهد على ما بلغته تلك الأقوام الغابرة من مستوى رفيع في الهندسة المعمارية والفنون.

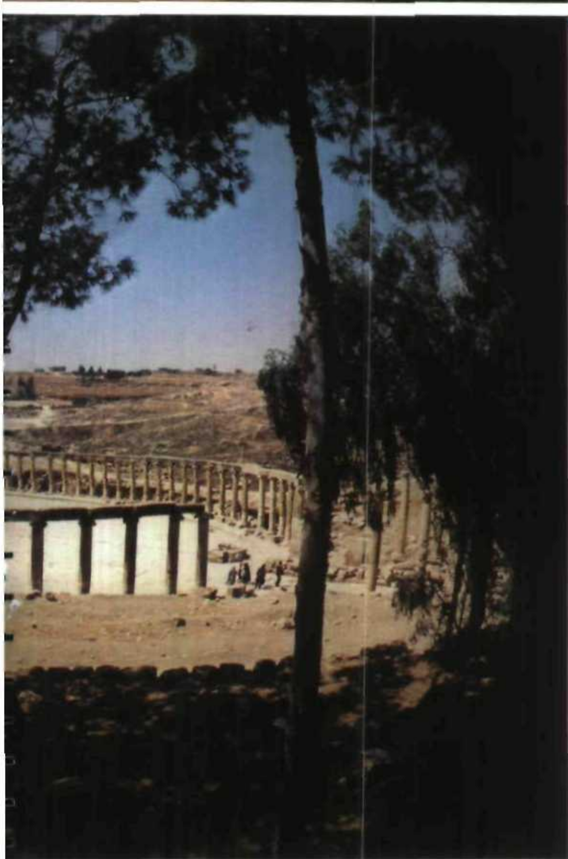
ان أول ما يصافح عيون الزائر القادم من عمان الى مدينة جرش القديمة، قوس النصر التي شيدت تخليدا وتكريما للزيارة التي قام بها الامبراطور الروماني «هدريان» في شتاء عام ١٢٩ — ١٣٠م، ثم أصبحت فيما بعد بمثابة بوابة شرف لا تفتح الا لدخول الشخصيات البارزة، التي يرغب زعماء المدينة في تكريمها، ولهذه القوس ثلاث بوابات. ثم نشاهد الساحة العامة — Forum وهي عبارة عن ساحة مبلطة بيضاوية الشكل محاطة بأعمدة أيونية فخمة، وقد كانت تستعمل كسوق للمدينة وقاعة للاجتماعات العامة. وهناك شارع الأعمدة المبلط، ويمتد مع امتداد المدينة كلها من الساحة العامة حتى البوابة الشمالية، وكان يضم ٥٢٠ عمودا لم يبق منها قائما الا واحد وسبعون عمودا. وهذه الأعمدة ذات تيجان من الطراز الأيوني والكورنثي. وعلى مقربة من الساحة يمتد درج فخم مسقوف يؤدي الى هيكل «زيوس» الذي لم يبق من أعمدته الا عمود واحد صمد أمام الهزات الأرضية. والى الشمال الغربي من هيكل «زيوس» يقع المدرج الروماني الكبير المزدان بالأعمدة والمحاريب. ويتكون هذا المدرج الجنوبي من ٣٢ صفا من المقاعد تتسع لخمسة آلاف متفرج. واذا اتجه الزائر بعينيه نحو الغرب شاهد مبنى ضخما هو، هيكل «أرتميس» آلهة الخصب والعطاء وحامية جرش، في الميثولوجيا الرومانية. وهو يقوم على ربوة مرتفعة ويمتاز بضخامته وفخامته، ويعد

١ — روعة الهندسة المعمارية والنحت والنقش بعكس الآثار الباقية في جرش.

٢ — أحد الأقواس والمداخل المؤدية الى الهياكل والمعابد في جرش.







من أهم آثار جرش، اذ تحيط به أعمدة رائعة تطل على منصة رحبة. واذا اجتاز الزائر البوابة المربعة شاهد حوضا رخاميا مزخرفا يطلق عليه «نافورة عرائس البحر» أو «مسبح العذارى»، وهو عبارة عن بركة ماء ذات نافورة تتدفق مياهها من أفواه تماثيل الأسود.

ويقع الى الشمال من المدينة المدرج الشمالي، وهو أصغر حجما من المدرج الجنوبي، الذي بني تكريما للأميرة السورية «جوليا دومنا — Julia Domna» زوجة الامبراطور الروماني «سبتيموس سفيروس — Septimus Severus»، كما يشاهد الزائر عددا من المعابد، والحمامات، والبرك، والمدافن، والبوابات.

فكرة مهرجان جرش الدولي ٨٣

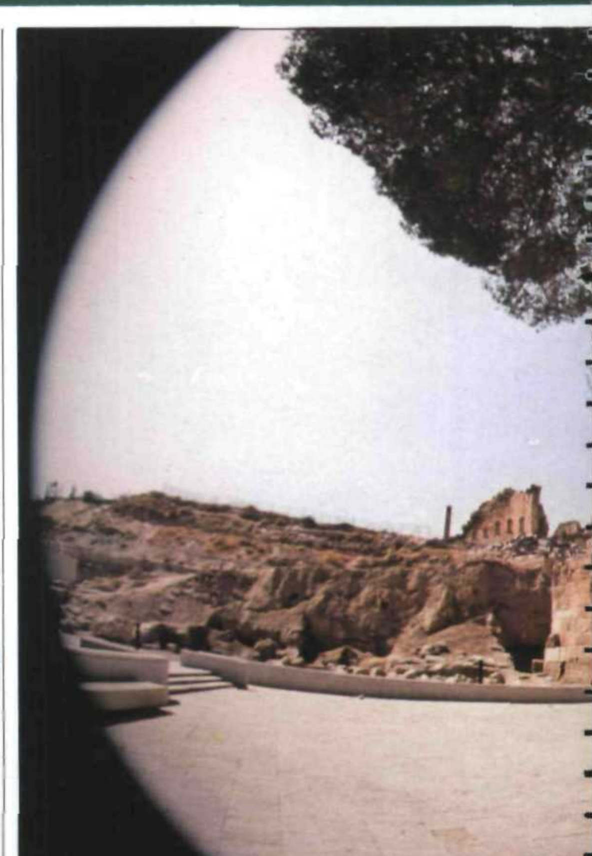
في هذا الجو الممتع الذي يعبق برائحة التاريخ، جاء مهرجان جرش الدولي للثقافة والفنون ليؤكد أن هذه البقعة الجميلة كانت ولا تزال ملتقى الأمم، والبوتقة التي انصهرت فيها الحضارات الزاهية. فهذا المهرجان بأنشطته المختلفة يعكس حرص الأردن على تشجيع الفنون وتنشيط الحركة الثقافية والسياحية فيه. أما فكرة هذا المهرجان الهادفة الى تنشيط الفعاليات الثقافية والفنية في البلاد فقد تبنتها جامعة اليرموك حيث تم تشكيل «لجنة مهرجان جرش للثقافة والفنون» التي ضمت عددا من أعضاء التدريس للاشراف على تنظيم وتنفيذ النشاط المزمع على أساس تجريبي، فكان أن أقيم مهرجان جرش لعام ١٩٨١. واشتمل المهرجان الذي استمر ثلاثة أيام على برامج متنوعة منها المسرحيات، والعروض الفولكلورية والغنائية والموسيقية، ومعارض للأزياء والحرف والمصنوعات اليدوية، والفنون التشكيلية، والكتب، وفقرات من الشعر والأدب الشعبي.

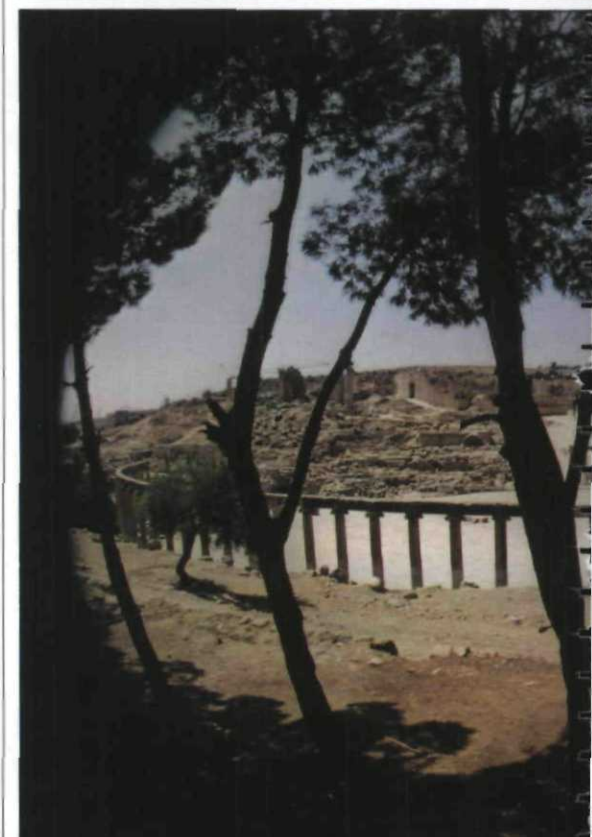
١ ـ جانب من آثار مدينة جرش العريقة.

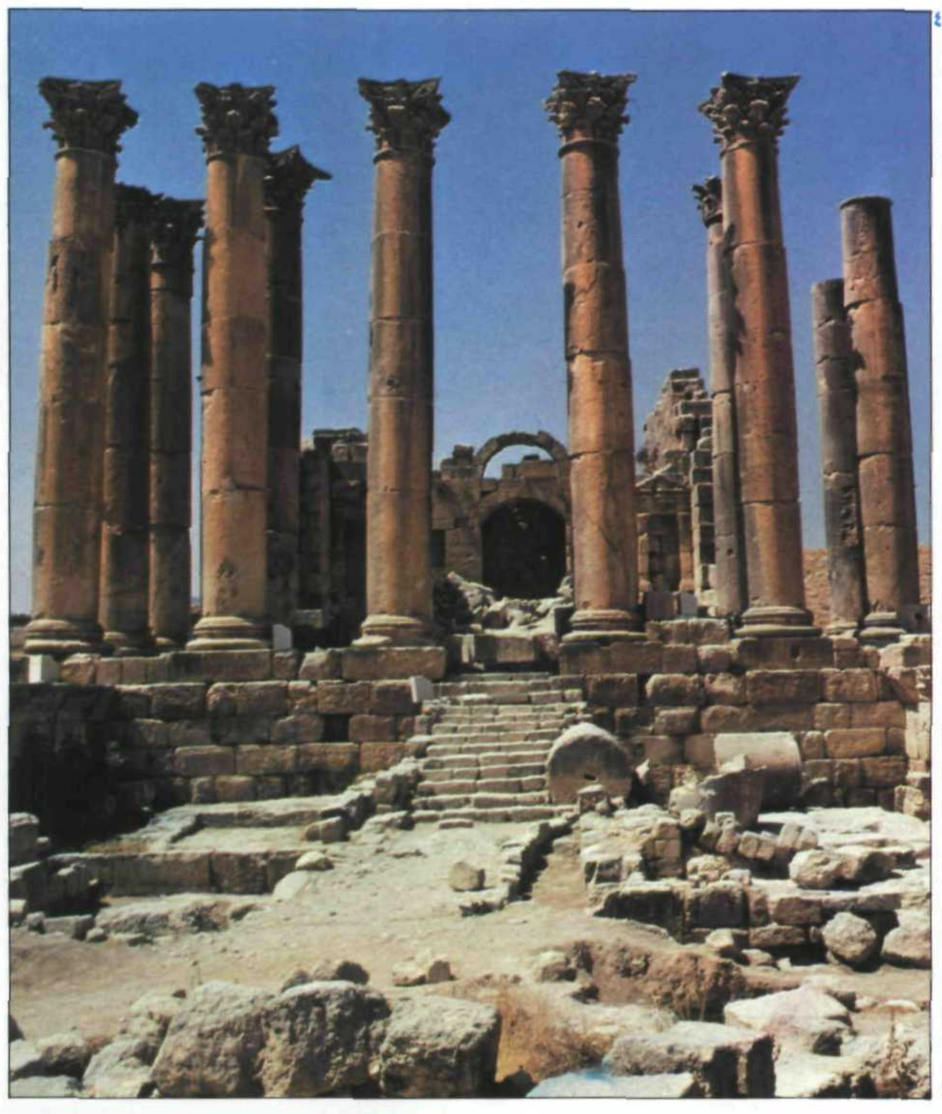
٢ ـ لقطة بارعة بعدسة «عين السمكة» تُري جانبا من الآثار التي يجري ترميمها.

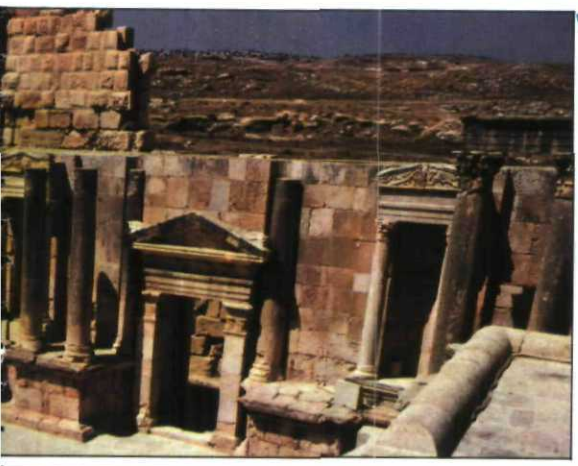
٣ ـ الأشجار الباسقة تظلل الساحة العامة في مدينة جرش الأثرية.

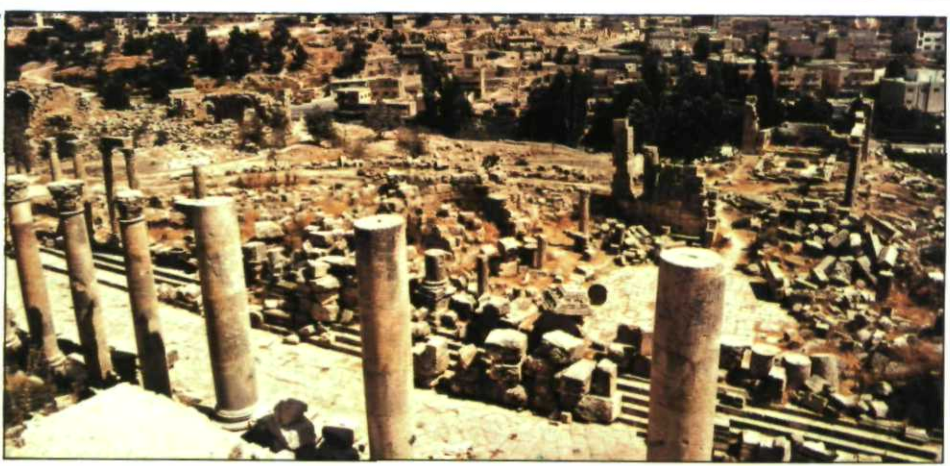
٤ ـ أعمدة ذات تيجان كورنثية تقف متحدية عوادي الطبيعة.

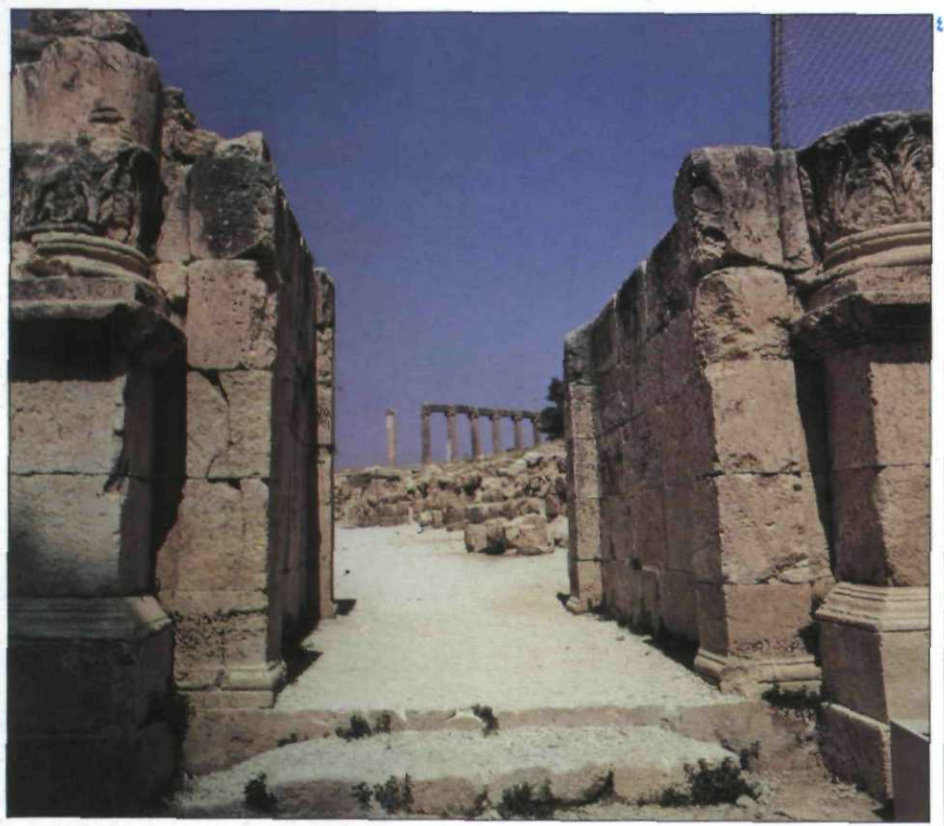




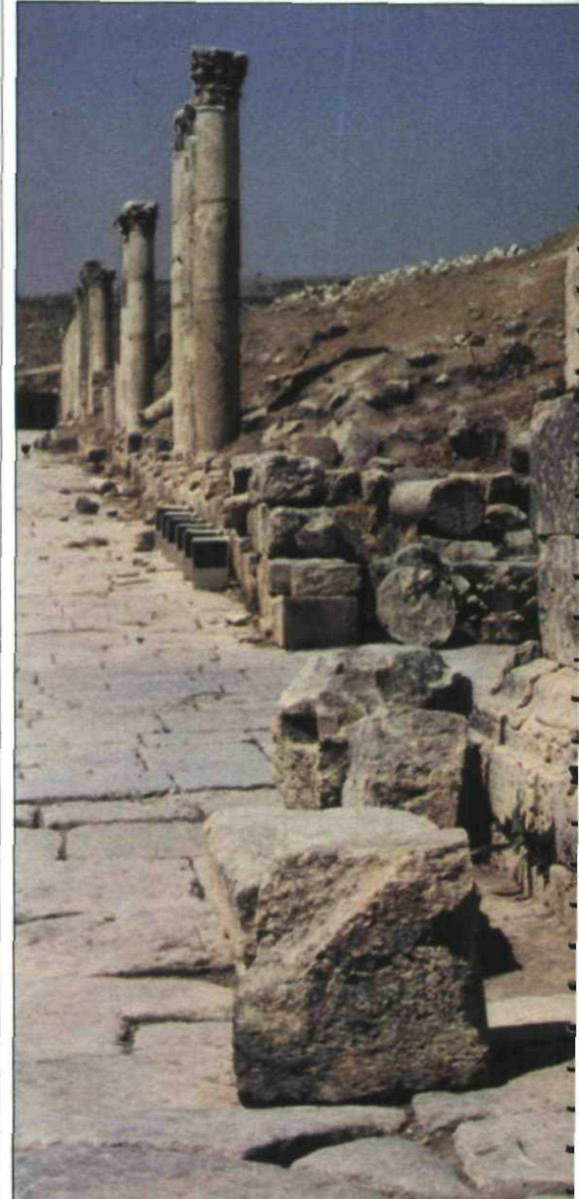












١ ـــ الجديد والقديم في جرش.

٢ ـــ جانت من المسرح الجنوبي الذي شهد واحدا من أروع العروض الفنية خلال المهرجان الدولي لعام ١٩٨٣.

٣ ـــ بقايا مقصورة تقوم على طرف شارع الأعمدة.

٤ ـــ استخدمت الحجارة الضخمة في مباني جرش الأثرية.

ولقد حقق ذلك المهرجان نتائج ايجابية ملموسة، ونجاحا فاق كل التوقعات، خاصة وان عدد رواده قارب المئة ألف خلال أيام المهرجان. وازاء هذا النجاح وجه جلالة الملك حسين كتابا رسميا يقضي بتعيين لجنة عليا للمهرجان تضم في عضويتها عددا من أبرز المعنيين بالنشاط الثقافي والفني والاعلامي والسياحي، من بينهم وزير الثقافة، ورئيسة الجمعية الملكية للفنون الجميلة، ورئيس جامعة اليرموك. وتقرر عقد هذا المهرجان سنويا وبشكل منتظم، واطالة مدته الى عشرة أيام. فراحت اللجنة تجند الطاقات لاستقبال الفرق المحلية والعربية والأجنبية المشاركة في مهرجان جرش الحافل لعام ١٩٨٣.

لماذا اختيرت جرش مكاناً للمهرجان؟

تم اختيار مدينة جرش الأثرية، المجاورة لمدينة جرش المأهولة، كموقع للمهرجان لما تتمتع به من تراث معماري وثقافي من عهود ما قبل التاريخ حتى الوقت الحاضر. وجرش هي أفضل مدينة أثرية تحتفظ بطابعها الأصيل بين مثيلاتها من المدن التي شيدت قبل وبعد الميلاد، فضلا عن أن معظم المباني والمرافق الرئيسية بقي صالحا لتقديم الأنشطة والعروض المختلفة للمهرجان. كما أن موقع جرش يتوسط التجمعات السكنية الكبيرة في الأردن، ويمكن الوصول اليه من عدة جهات، حيث تربطها بالمدن الرئيسية في الأردن طرق معبدة. لهذا وضعت لجنة المهرجان نصب عينيها استغلال المرافق والامكانات التي تتيحها جرش الأثرية. ومن أبرز المرافق التي تم استغلالها ساحة الندوة الفسيحة المبلطة، وهي مركز شبه بيضاوي مفتوح تتفرع منه الشوارع المؤدية الى المواقع المختلفة، كما تم استغلال شارع الأعمدة الرئيسي المتفرع عن الساحة والممتد حتى البوابة



لوحات فنية رائعة معروضة في شارع الأعمدة.



شاركت مدينة مأدبا بنماذج من السجاد المنسوج يدويا في مهرجان جرش.

الشمالية بطول ٦٠٠ متر، وشغل الحرفيون الدكاكين التي تنتشر على جانبيه. وأقيمت بعض النشاطات أمام وداخل بعض الأبنية التي تقع على الشارع كمسبح العذارى ودرج معبد ارتميس. وتم عرض الفنون التشكيلية في قبو زيوس وهو أحد الأقبية التي أقيمت تحت المعبد ويبلغ طوله ١٠٠ متر. وخصص المدرج الجنوبي للانشطة الرئيسية، حيث يضم مسرحا كبيرا ومقاعد منتشرة على ٣٢ صفا حجريا. وقامت اللجنة بتطوير كافة المسارح والمرافق اللازمة، وتوسيع الانشاءات بما في ذلك تمديد شبكة اضاءة وكهرباء متكاملة، وشبكة مياه، ومراكز خدمات عامة، ومواقف اضافية للسيارات والحافلات، ومكاتب استعلامات واسعاف وطوارىء في أنحاء المدينة الأثرية.

المهرجان يعيد الحياة إلى جرش

ما أن أوقد جلالة الملك حسين الشعلة ايذانا ببدء المهرجان حتى انطلقت الجموع في كل اتجاه في أرجاء جرش... الحافلات تنقل رواد المهرجان من المواقف الى البوابة الرئيسية،





وعادت الحياة الى ربوع مدينة جرش الأثرية بافتتاح المهرجان الدولي للثقافة والفنون لعام ١٩٨٣.

وسرعان ما تتفرق في شوارع المدينة الأثرية، تنشد المتعة والتسلية ومشاهدة الفرق المحلية والعربية والأجنبية وهي تؤدي عروضها وفنونها الفولكلورية المتنوعة. الموسيقيون المتجولون يعزفون أحلى الألحان وأعذبها، المغنون تنطلق أغانيهم في أرجاء معالم جرش، الشعراء يلقون قصائدهم، الحرفيون المحليون يعرضون بضائعهم. هكذا كانت جرش في الأيام الغابرة، حركة دائبة ومتعة دائمة، وهكذا هي اليوم بمهرجانها.

وحول أهمية هذا المهرجان تحدث الدكتور عدنان بدران، رئيس جامعة اليرموك ورئيس اللجنة التنفيذية لمهرجان جرش قائلا: ان أهداف المهرجان تتمثل في العمل على اعادة الحياة الى المدينة الأثرية العريقة حتى تستعيد دورها الثقافي في المجتمع الأردني بوجه خاص والمجتمع العربي والانساني بوجه عام. كما نتطلع الى تعميق الانتماء الوطني وتعزيز الارتباط بالتراث والتماس مع الثقافات الأخرى. وهكذا كان المهرجان لقاء ثقافيا فنيا، عربيا ودوليا، شارك فيه فرق فنية متميزة من مختلف أنحاء



الساحة العامة «الفورم» البيضاوية الشكل تغص برواد المهرجان.

١


٢

العالم، قدمت فيه أفضل ما أبدعته وأنتجته من أعمال فنية. فقد بلغ عدد المشاركين من الخارج نحو ٨٠٠ ينتمون الى ٢٠ دولة عربية وأجنبية. ومن أبرز الفرق العربية التي شاركت في المهرجان فرقة رضا للفنون الشعبية المصرية، وفرقة فيروز، والفرقة اليمنية للفنون الشعبية، والفرقة الكويتية للفنون الشعبية، وفرقة الفنون الشعبية الجزائرية، والفرقة التونسية للفنون الشعبية، وفرقة زغلول الدامور اللبنانية. أما الفرق الأجنبية المشاركة فقد ضمت الفرقة الصينية للالعاب البهلوانية، وفرقة امبايرستيت الأمريكية للفنون المسرحية، وفرقة بنغلادش للفنون الشعبية، وفرقة سالزبورغ النمساوية للفولكلور، وفرقة نيس الفرنسية، وفرقة هول روجرز الأمريكية، والفرقة الشعبية الهندية، وفرقة سردينيا الايطالية للفولكلور، وفرقة دويل لوسون للغناء الشعبي الأمريكي، والفرقة الاسكتلندية العسكرية للموسيقى. أما الفرق

١ ــ الفرقة الموسيقية في الجيش العربي الأردني تعزف الموسيقى ترحيبا برواد المهرجان الدولي.

٢ ــ تولى جهاز الشرطة وعدد كبير من طلاب وطالبات جامعة اليرموك تنظيم نشاطات المهرجان.

٣ ــ موسيقى القرب تصدح في أرجاء المعالم الأثرية في جرش.

٤ ــ المهرجان يتيح للمواطنين فرصة للترويح عن النفس.

المحلية فقد ضمت فرقة الدبكة والسامر، وفرقة الفولكلور الشركسي، وفرقة اليرموك للفولكلور، وفرقة الخطوط الجوية الملكية الأردنية «عاليه» للفولكلور، وفرقة أطفال الشيشان، وفرقة موسيقى القوات المسلحة الأردنية، وفرقة أوركسترا الاذاعة الأردنية، وفرقة جامعة اليرموك الموسيقية.

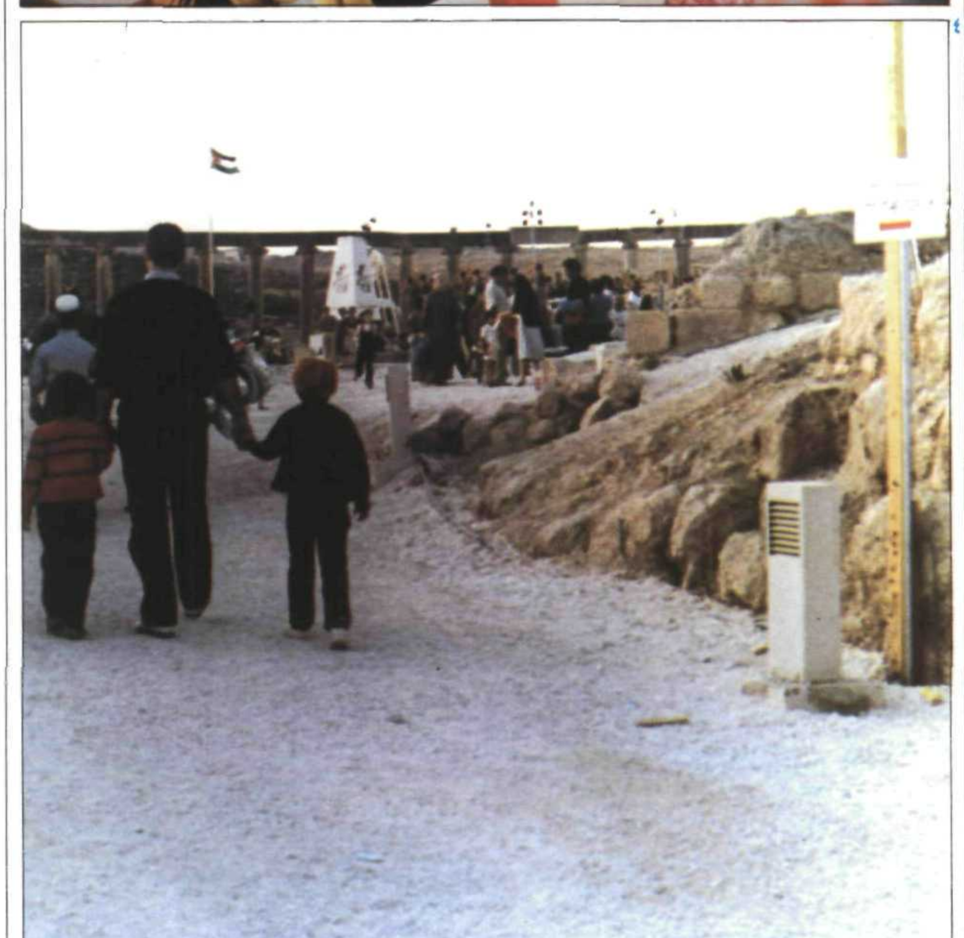
وقد اشتمل المهرجان على معارض مختلفة، من بينها معرض الفنون التشكيلية حيث عرضت اللوحات الزيتية والمائية، وأعمال الجرافيك والخزف والنحت والخط العربي والزخرفة الاسلامية والتصوير الفوتوغرافي ورسومات الأطفال. كما أقيم معرض للكتاب العربي شارك فيه نحو مئة ناشر ومؤسسة نشر عربية. وأقيم على طول شارع الأعمدة معرض للحرف والمصنوعات اليدوية كالحياكة التقليدية، وصناعات الحصر والصدف وخشب الزيتون والخزف والفضة والزجاج والرمل الملون، وتخريم النحاس، والمطرزات، والنحت على الحجر، وأشغال القش، وبيوت الشعر، والشباري والسيوف والمهابش، وحفر الخطوط العربية. وقامت لجنة التراث بالتنسيق مع لجنة الخزف بتنظيم عرض للأزياء الشعبية الأردنية والفلسطينية عبر العصور نال استحسان رواد المهرجان، هذا فضلا عن العروض الاعلامية والسينمائية المختلفة.

وبعد.. تلك هي جرش، مدينة الماضي والحاضر والمستقبل، تلتقي فيها أروع الفنون العالمية والشعبية في جو من المتعة والمرح □

تصوير:
بيني سبيديس
رامي خوري
سليمان نصرالله

٣

٤



شخصيات ادبية لها تاريخ:

احسان عباس...

بقلم: أبي طالب زيان / القاهرة



ولد هذا الكاتب الفذ الدكتور احسان عباس بفلسطين، بقرية تدعى «عين غزال» في عام عشرين وتسعمائة بعد الألف. وتلقى دروسه الابتدائية فيها، ثم انتقل الى المدينة ليكمل تعليمه بحيفا...

والذين يتابعون سير التعليم في تلك الحقبة، يذكرون: أن أي طالب كان من الصعب عليه، أن ينال حظه من التعليم في ذلك الوقت، لا سيما اذا وجد الصبيان أنفسهم في مدينة كبيرة، بعيدة عن مسقط رأسهم الذي عاشوا فيه، يرضعون الحنان، وينعمون بالعطف.. ولكن «احسانا» قد استطاع التغلب على تلك الصعاب، وتخطى كل العقبات التي كانت تقف في طريق تعليمه، سواء من جهة الاغتراب.. أو من جهة النفقة المحدودة التي كان يعيشها طالبا، بعيدا عن أهله وذويه، محروما من عطف والديه.

ولقد قال الدكتور احسان نفسه، انه حينما يرجع الى تلك الحقبة التاريخية من حياته، يجد ما يشبه التساؤل يجثم على صدره ويأخذه من كل جانب.. كيف تغلب على تلك الصعاب.. كيف طوى تلك الحقبة.. وكيف وقف فيها على رجليه، وهو لم يزل بعد في عمر الزهور..؟

الحق، ان هذا التساؤل يقضي عليه ما كان يقوله له والده: ان العلم هو طريقه الوحيد في الحياة.. والواقع أن والد «احسان» ما كان يضن عليه بالمال، ويكدح في سبيل توفير العيش الكريم لابنه: «احسان» الذي كان يعده تعويضا له، عما حرمه في حياته من القعود به، دون تحقيق ما كان يصبو اليه ويوده لنفسه من العلم.. فكان ان جعل من «احسان» هو، ومن فلذة كبده نفسه، عله يبل نفسه الصدئة، ويجلو حياته التي ران عليها غبار مواصلة السير في تمام تعليمه..

دخل «احسان» الكلية العربية بالقدس، وأمضى بها أربع سنوات، نال بعدها شهادة تؤهله لأن يكون مدرسا في احدى المدارس الثانوية بفلسطين...

ونظرا للعبء المادي، الذي كان والد «احسان» يحمله، آثر الابن البار، أن يعمل بشهادته مدرسا في تلك المدارس فترة تزيد على الخمس سنوات، كان خلالها دائب الحركة، جم النشاط... فلم تقعد به تلك الجنيهات التي كان يتقاضاها عن مواصلة البحث عن اتمام تعليمه العالي، لا سيما، وقد اكتمل عوده، وأصبح يشعر شعور من يفتقد في حياته شيئا يريد اكماله، أو العثور عليه من خلال البحث، أو النظر الى اللدات والاتراب...

كانت رحلته الى مصر. وفي جامعة القاهرة، حيث حصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي. حيث عمل مدرسا باحدى مدارسها فترة تزيد على العام، ثم سافر الى السودان، ليعمل مدرسا بكلية الخرطوم عشر سنوات...

لكن هل استكان «احسان عباس» لهذه الوظيفة، واختبأ داخل اركانها، وآثر العيش الهنيء هناك؟

لقد تاقت نفس «احسان» الوثابة وهو يؤدي ما عليه من واجبات وظيفته، أن يعاود الكرة الى جامعة القاهرة، ليحصل منها على شهادة الماجستير.. في «حياة الشعر في صقليه»، وهو موضوع كما يبدو عسير الهضم، ضيق المأخذ، محدود الاقامة، الا ان «احسانا»، قد أتى فيه بالمعجب، مما حمل لجنة الامتحان الى الاشادة به في اكثر من موقف، واكثر من مناقشة..

ولم يمض أكثر من عامين، حتى كانت اطروحة الدكتوراه، التي كانت في «نزعة الزهد واثرها في الأدب الأموي» بمرتبة كبيرة، اهلته لأن يكون استاذا للادب العربي في الجامعة الامريكية ببيروت، وكان ذلك في أوائل الستينات... ولم يزل الدكتور «احسان» يعمل في هذه الجامعة الى الآن، استاذا يشار اليه، ومرجعا يعول عليه، ويعتد به...

على أن الذين شافهوا الدكتور احسان، أو عاشوا واياه عن كثب، يقولون عنه: ان هذا العالم الكبير لا تسيغ نفسه، أو يرضيها، ان يمر يومه دون بحث، او تنقيب، فضلا عما كان يقوم به من أعباء في الجامعة سواء في الخرطوم، أو في بيروت..

فكان يثلج صدره، ان يكتب في خلال ذلك كله عن «الحسن البصري»، و«عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث» و«فن الشعر» و«فن السيرة» و«ابي حيان التوحيدي» و«الشعر العربي في المهجر الاميركي» و«الشريف الرضي» و «العرب في صقلية» و«تاريخ الأدب الاندلسي — عصر سيادة قرطبة» و«تاريخ الأدب الاندلسي — عصر الطوائف والمرابطين» و«بدر شاكر السياب» و «تاريخ ليبيا».

ومما يذكر للدكتور احسان بالفخر، انه اشترك مع استاذيه اثناء اقامته بمصر، الدكتور احمد امين وشوقي ضيف، في تحقيق كتاب «خريدة القصر للعماد الاصفهاني».

وقام وحده بتحقيق «رسالة أبي العلاء المعري في التعزية»، «ورسائل ابن حزم الاندلسي».. واشترك مع الدكتور عبد المجيد عابدين في تحقيق كتاب «فصل المقال لأبي عبيد البكري» و«جوامع السيرة لابن حزم» مع الدكتور ناصر الدين الاسد...

وحمل وحده عبء تحقيق كتاب «التقريب لحد المنطق لابن حزم» و«ديوان ابن حمديس الصقلي» و«الرد على ابن التعزيلة اليهودي» و«رسائل أخرى لابن حزم» و «ديوان الرصافي البلنسي»، و«ديوان القتال الكلابي» و «ديوان لبيد بن ربيعة العامري»، و «اخبار وتراجم اندلسية» و«ديوان الاعمى التطيلي» و «شعر الخوارج» و«الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة، للسان الدين بن الخطيب»، و«الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي — الجزء الرابع» و «الذيل والتكملة— الجزء الخامس».

وكان للدكتور احسان، مع «نفح الطيب» دور كبير، اذ حققه في ثمانية أجزاء خير تحقيق، ثم توافر على اخراج وتحقيق «طبقات الفقهاء للشيرازي» و«ديوان الصنوبري» و«ديوان كثير عزة» ثم وضع بين يديه ثمانية أجزاء من كتاب «وفيات الاعيان لابن خلكان» اخرج منها ثلاثة، وهو بسبيل اخراج الخمسة الباقية...

وفي خلال هذا المجهود الكبير، وهذا العمل المتواصل، كان للدكتور احسان، الابحاث التالية: «نازك الملائكة والتجديد في الشعر» و«احمد امين وطريقته في الكتابة والتأليف» و«فصل في تاريخ العقيدة في ديار الشام» و«دور شرق الجزيرة في الأدب الجاهلي» و«النقد الأدبي في الأندلس» و«مصادر الادب الأندلسي والمغربي» و«نظرة جديدة في النقد القديم» و«الإتجاهات الفلسفية في الأدب العربي» و«اخبار الغناء والمغنين في الأندلس» و«الجانب السياسي في رحلة ابن العربي الى المشرق» و«ابن رضوان وكتابه في السياسة».

وعلاوة على هذا فان للعالم الدكتور احسان باعا طويلا في الترجمة، بدأها بكتاب الشعر لارسطو طاليس و«النقد الأدبي ومدارسه الحديثة» لستانلي هايمان. و«دراسة في الأدب العربي» لكارلوس بيكر. و«ارنست همنغواي» و«مقال في الانسان، أو فلسفة الحضارة» لارنست كاسيرر. و«يقظة العرب» لجورج انطونيوس. و«دراسات في الحضارة الاسلامية» للسير هاملتون جب. و«قصة موبي ديك» لهرمان ملفل و«ت.س. اليوت» لماتيش...

ودون ما شك ان الدكتور احسان عباس، الذي أثرى المكتبة العربية بهذه الكنوز الثمينة، قد كان احرى به أن يستكين أو يضعف، لولا ما كان له من دافع يدفعه، ويمضي معه الى اليوم، وهو ما قاله له ابوه في بدء حياته: «ان العلم هو طريقه الوحيد في الحياة» وهو لهذا يعمل ويكد، وكأنه الآن يدخل الحياة من جديد، أو كأنه ولد على اعتاب التعب، وان كان تعبه يعود على الثقافة العربية بما كانت تجبه منه، وترضاه لمنفعتها ومجدها...

والذي يقرأ تحليل الدكتور احسان، لنفسية بدر شاكر السياب، يهوله هذا العالم المتمكن، والأديب الفذ الذي يملك ناصية الكلام، وخبرة المربي، ومعرفة الطوايا من خلال ما كان ينفثه السياب في بعض نغمه، أو يردده في حالك قصيده.

«السر كل السر في شخصية السياب، لا في ايمانه بشعره، تلك الشخصية التي يلتقي فيها البكاء بالضحك على صعيد، ويتردد صاحبها بين ذروة الانفعال وحضيضه دون تدرج، ولا يفيء الى قاعدة فكرية صلبة، ولا يسعفه الاغراق في الحساسية على الانضواء طويلا في الجماعة، لانه ينكر نفسه اذا هو لم يحس بها منفردة متفردة في آن، وهي شخصية المتلذذ بعذاب الحرمان من الحب والجاه والمال، الذي يرد هذا الحرمان الى غير اسبابه الواقعية، ولهذا كان دائما يحس أنه مقهور مستذل، يود المجتمع ان يقتله، وتريد المدينة أن تصعقه بكهربائها، وكان احساسه بالبؤس مناقضا لايمانه بموهبته الفنية...»

ويقول كذلك:

«كان هذا الشعور، يتحول في نفسه الى حنق بالغ، فلا يجد لذلك الحنق متنفسا سوى الشعر، وقد واكب هذا الحنق شعر السياب، فكان انفعالا مديدا، يريد أن يتجاوز الحد الطبيعي للقصيدة، فيحولها الى ملحمة، وهذه السورة التي تطغى حتى تجاوز كل حد، هي التي جعلته يمعن في تصوير عهد الرعب، ويتلذذ بذلك الامعان، اذ كان الحنق، هو المحرك القوي لطاقته الشعرية...»

ويحلل الدكتور احسان السياب فيقول:

«ان حياة بدر شاكر السياب، تتضمن قوسين كبيرين، هما: مرحلتا البحث عن آلام، أو العلاقة بين الشاعر والموت، وبينهما خط قصير نحيل متعرج، يمثل انسجامه الفني في الجماعة، أو نقمته عليها. وفي اثناء تلك الفترة القصيرة زمنيا وجد الشاعر نفسه ثم فقدها في سرعة».

ويمضي الدكتور احسان في كل ما يكتبه محللا دارسا، على وتيرة واحدة، حتى ان كتبه المحققة، لا تخلو من ومضات، تبهر الذين يبحثون عن «احسان» اديبا وعالما ومحاضرا، شق طريقه وسط العواصف، ووجها لوجه امام سوافي الرمال، فكان «احسان عباس...» □

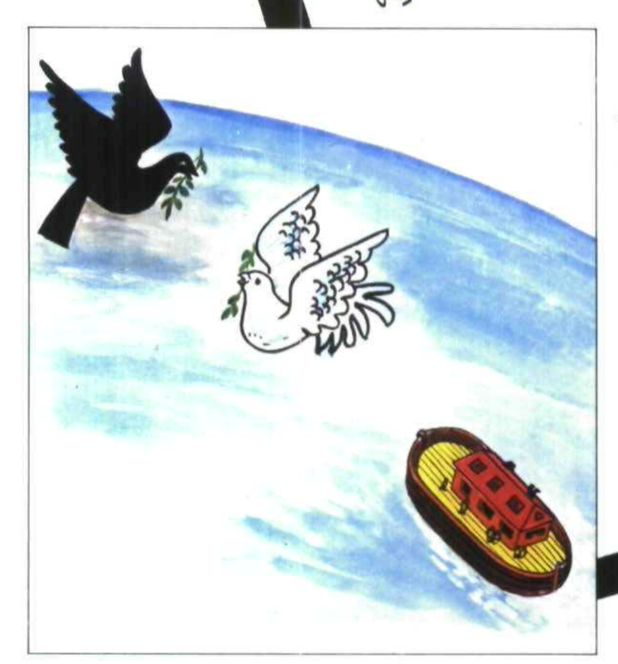
البريد..

وقصة المراسلة بين الناس

إعداد ورسم : عبداللطيف قباني / الدمام

تروي الأساطير أن أول رسالة بريدية عرفتها البشرية، كانت عبارة عن غصن أخضر، حملته حمامة وحطت به فوق سفينة نوح، عليه السلام، ايذانا بانتهاء الطوفان.

وعلى امتداد هذه الأزمنة الموغلة في القدم، مر البريد بمراحل عديدة من التطور استخدم الانسان خلالها أنواعا وأنماطا من الرسائل كان من بينها الطين المجفف، والعصا، والحمام الزاجل، والحصان، والعربة، ووسائل الاشارات والطبول وغيرها، وكانت كلها تؤدي الغاية المنشودة منها في ذلك الحين إلى أن كان عصرنا الحالي حيث شهد البريد وثبات من التطور في مجالات نقل الرسائل بمختلف الوسائل التقنية الحديثة، من برية وبحرية وجوية. ولقد كانت الفراعنة والاغريق والرومان والعرب من بين الأمم التي أوجدت نظما للبريد، ووضعت قوانين خاصة به وبوسائل نقله. ومع توالي العصور وتعاقب الأزمان، تطورت أساليب البريد وتحسنت وسائله وتيسرت سبل نقله وإيصاله ... ويطالع القارئ على هذه الصفحات رسوما تخيلها الفنان لبعض الوسائل التي استخدمها الانسان في نقل الرسالة على مر العصور.



الغصن الأخضر الذي حطّت به الحمامة على سفينة نوح عليه السلام، ايذانا بانتهاء الطوفان، كان أول رسالة جوية في تاريخ البشرية.

رسالة الطين المجفف

كانت صناعة الورق غير معروفة في الماضي، فكان الناس يكتبون رسائلهم على الطين الناعم ثم يجففونه في الشمس قبل ارسالها الى أقاربهم ومعارفهم.



كان البابليون والأشوريون يكتبون رسائلهم على الطين الناعم ثم يجففونه تحت الشمس.

رسالة العصا

كان الاسبرطيون جدّ حريصين على الاحتفاظ بسرية رسائلهم، فابتدعوا طريقة خاصة للمراسلة وهي أن يصنع المرسل عصا يلف عليها شريطا من الجلد ويكتب على الشريط ما يريد قبل لفه، ثم يبعث بالعصا الى المرسل اليه الذي يحتفظ بدوره بعصا مماثلة للرد على الرسالة.



عصاتان وقد لف على احداهما شريط وبقيت الأخرى عارية، وقد استعمل الاسبرطيون هذه الطريقة في المراسلات.

البريد في عهد المصريين القدماء

كان البريد «الرسمي» في عهد الفراعنة متداولا ومنظما، وأول وثيقة ورد بها ذكر البريد ترجع الى عهد الأسرة الثانية عشرة، سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد. غير أن بريد العامة آنذاك كان يفتقر الى نظام قائم بذاته، اذ أن الفراعنة لم ينشئوا ادارة للبريد بالشكل الذي نعرفه اليوم، بل كان الأغنياء منهم يبعثون برسائلهم مع عبيدهم، وكان الفقراء منهم ينتهزون هذه الفرصة ليرسلوا خطاباتهم مع أولئك العبيد. وقد استخدم قدماء المصريين في نقل البريد سعاة على الأقدام يقطعون المسافات الطويلة قبل أن يتمكنوا من ايصال الرسائل الى أصحابها. وفي الرسم يرى أحد سعاة البريد في عهد الفراعنة، وقد انتهى الى هذا المكان بعد أيام من مغادرة العاصمة، ويسلم حاكم البلدة خطابا خاصا به.



أحد سعاة البريد في عهد الفراعنة يسلم خطابا خاصا بالحاكم.

البريد في عهد البطالسة

وضع البطالسة لبريدهم نظاما اتسم بالدقة والسرعة وضمان وصول المراسلات، وتحديد مهام رجال البريد. فقد عثر على وثيقة يرجع تاريخها الى سنة ١١١ قبل الميلاد يستدل منها على أنه كان بالفيوم في مصر مكتب للبريد يعمل فيه رئيس و٤٤ ساعيا وجمّالا وحارسا، وكانت مهمة الرئيس قيد المراسلات والاهتمام برجاله والجمّال، بينما كانت مهمة الجمّال نقل الطرود الثقيلة التي يتعذر على سعاة البريد نقلها.

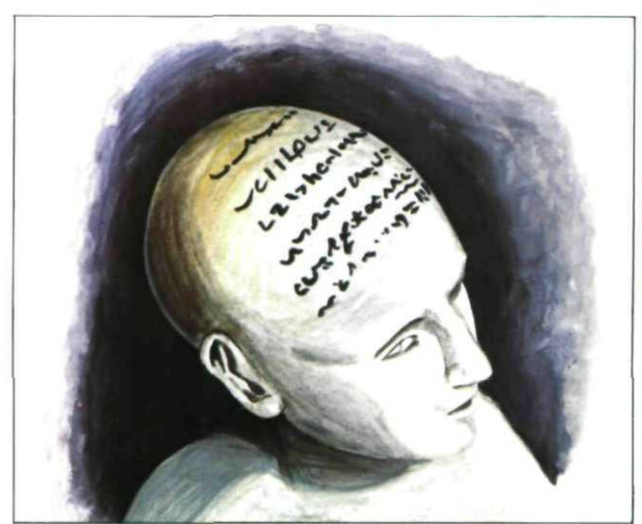
البريد في عهد الرومان

بلغ البريد شأوا بعيدا في عهد الامبراطور «ديوكليسيان» الذي أقام المراقبين على رجال البريد ومحطاته، وأجاز لهم ابلاغ المخالفات الى رؤساء الشرطة أو اليه نفسه. وقد عثر على وثيقة من العهد البيزنطي، أو شبه عقد مبرم بين رجل من منظمي الاسطبلات وبين أحد النبلاء، يتعهد فيه الأول بنقل مراسلات الثاني لسنة كاملة مقابل ٨٠ كما من الحنطة وتسع قطع من الذهب.

رسائل حية

درج الرومان على طريقة خاصة تضمن لهم الحفاظ على سرية مراسلاتهم ولا سيما العسكرية، وذلك بتدوين الرسالة التي

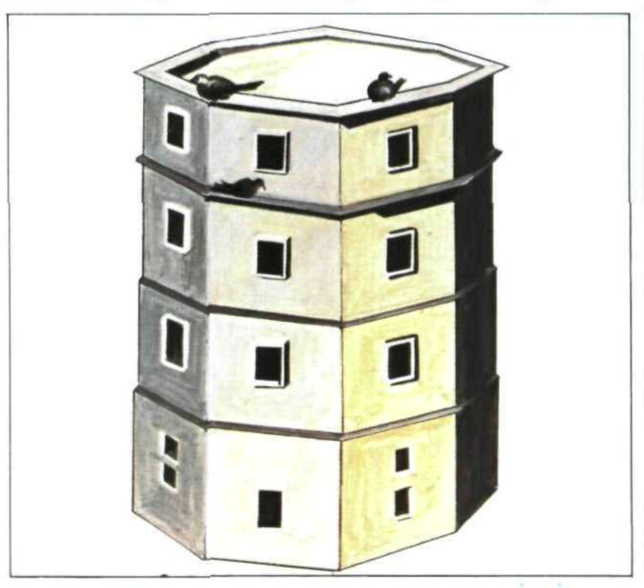
يريدونها بالوشم على جلدة رأس أحد جنودهم على أن يتركوه حتى ينبت شعره ثم يبعثوا به الى الجهة المقصودة . وهناك يحلق شعر الجندي وتقرأ الرسالة، وبالتالي يعدم الجندي حتى لا يظل السر على جلدة رأسه.



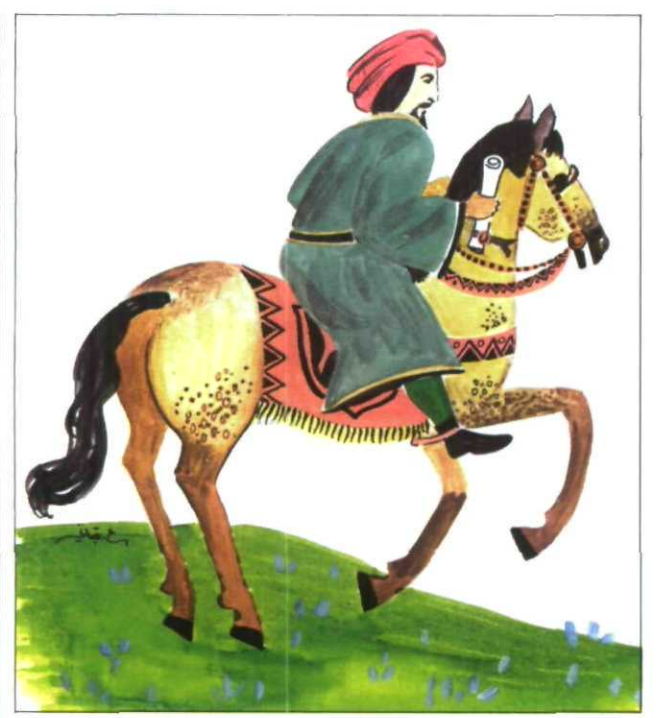
رسم يمثل رسالة بالوشم نقشت وكتبت على رأس جندي بعد أن تم حلق شعر رأسه ثم ترك شعره لينمو مرة أخرى، ليرسل به الى الجهة المطلوبة التي تتولى بدورها حلق شعره ثانية لقراءة مضمون الرسالة، ثم اعدامه وذلك خوفا من افشاء سر الرسالة.

الحمام الزاجل

اشتهر العرب والمسلمون باستخدام الحمام الزاجل كوسيلة لنقل مراسلاتهم، وقد ظل هذا الاسلوب قيد الاستعمال لعدة قرون، وكان أول من نظمه بدقة السلطان نور الدين زنكي الذي ولي الحكم على مصر وبلاد الشام سنة ١١٤٦ ميلادية لنقل الرسائل الرسمية. وكان البريد آنذاك ينقل بواسطة الحمام بين عدة محطات تمتد من بلاد مصر حتى بلاد الشام في نفس الخطوط التي انتظم فيها نقل البريد بواسطة الجياد. غير أن الحمام كان يقطع المحطة في ثلث الوقت الذي كانت تقطعه الجياد.



رسم لأحد أبراج الحمام الزاجل التي كانت منتشرة في عهد السلطان نور الدين.



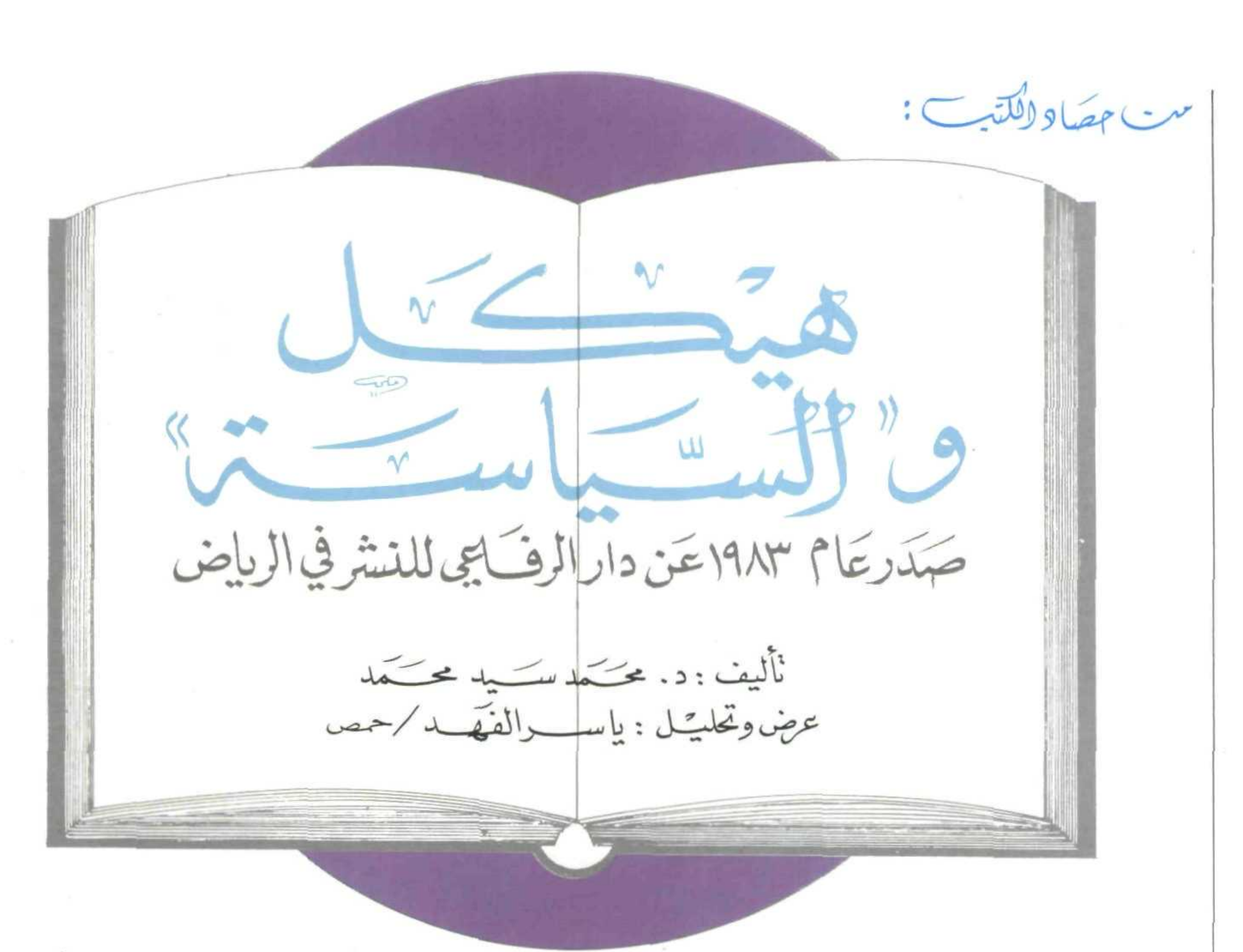
كانت الرسائل في عصور الاسلام الأولى تنقل بواسطة الحصان أو الجمل ويتبادل سعاة البريد الرسائل في مراكز أقيمت بين الأقاليم.



عامل البريد في عصرنا الحاضر يجمع الرسائل تمهيدا لتوزيعها على أصحابها.

نقل البريد بواسطة الجياد

استعمل المسلمون الجياد في نقل مراسلاتهم وخاصة الرسمية منها والمتعلقة بتصريف شؤون الولايات . وقد امتدت المحطات التي تمر بها المراسلات من المدينة المنورة الى بلاد الشام ومصر، حيث كان يتم نقل الرسائل بواسطة فرسان مهرة يتنقلون بين تلك المحطات. فكان الفارس يحمل معه الرسائل ويعود الى المحطة الأولى حيث يكون بانتظاره عامل آخر ليتسلم منه الرسائل وينطلق بها الى المحطة الأخرى، بينما يستريح الأول منتظرا البريد الوارد وهكذا..□



أول ما يتبادر الى ذهن القارىء لدى قراءته عنوان كتاب «هيكل والسياسة» الذي صدر في عام ١٩٨٣ عن دار الرفاعي للنشر في الرياض، أن الأمر يتعلق بمحمد حسنين هيكل ونشاطه في عالم السياسة، ولكنه سرعان ما يكتشف أن الحقيقة غير ذلك، فالحديث هنا حديث عن «السياسة» الأدبية وعن الدكتور محمد حسين هيكل صاحب صحيفة السياسة الأسبوعية التي كان لها تأثير ملحوظ في الحياة الثقافية العربية. وهذه الدراسة تمثل الحلقة الثانية في سلسلة دراسات صحفية متتابعة صدرت عن دار الرفاعي للنشر في الرياض،وبدأت بدراسة عن «الزيات والرسالة». وستكون الحلقة الثالثة خاصة بـ«حمد الجاسر وصحافته الأدبية» والرابعة بـ«ابن باديس وصحافته الأدبية». وصاحب هذه الدراسات هو الدكتور محمد سيد محمد، أستاذ الصحافة المشارك في جامعة الرياض. وفضلا عن الالتباس بين محمد حسنين هيكل والدكتور محمد حسين هيكل، فان الكتاب الذي نحن بصدد تقديم عرض له ينطوي على التباس آخر. فعندما تطالع القارىء عبارة «دراسات في الصحافة الأدبية» على غلاف الكتاب، يخيل اليه أن الكتاب يتناول مجلة متخصصة في الأدب، فالصحافة الأدبية حسب ما هو شائع هي تلك التي تعنى بالنقد الأدبي والقصة والشعر والمسرحية. ولكن الأمر خلاف ذلك، فالسياسة الاسبوعية هي صحيفة منوعة تأخذ من كل حديقة زهرة. وما الأدب الا فرع واحد من الفروع التي تتفرع من هذه الصحيفة، فهي تجمع بين العلم والفن والأدب والسياسة والاقتصاد وغير ذلك من فروع المعرفة المتعددة. ولكن المؤلف هنا يعد السياسة صحيفة أدبية لأن موضوعاتها تتم معالجتها بطريقة أدبية. ومن جهة ثانية فان للأدب معنى واسعا بالاضافة الى معناه الضيق المتخصص، اذ أن كلمة أدب يمكن أن تطلق على كل كتابة جميلة مهما كان موضوعها، وسواء أكانت علماً أم قصة أم سياسة أم نقدا أدبيا.. الخ. وعلى كل حال، فقد كان بامكان المؤلف أن يعد عمله دراسة في الصحافة المنوعة منعا للالتباس وحتى لا يظن القارىء أنه أمام دراسة صحيفة متخصصة بفنون الأدب ونقده. ويتألف الكتاب من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول، ويقع في ٣٨٠ صفحة.

المقدمة والتمهيد

يتحدث المؤلف في مقدمته بالتفصيل عن المراجع التي اعتمد عليها في دراسته، وهي تتضمن كتبا ومجلات ووثائق مختلفة، كما تحدث عن المنهج الذي اتبعه في هذه الدراسة، وهو المنهج التاريخي المترافق بالتحليل والربط والاستدلال مع استعمال المنهج المقارن في بعض الأحيان. أما التمهيد فيتضمن لمحة عن المجلات الأدبية في مصر منذ عهد اسماعيل في الثمانينات ومنها

مجلات «روضة المدارس» و«المقتطف» و«الهلال» و«الزهور» و«الضياء» و«السفور» و«الثمرات» و«الزهراء» وغيرها.

حياة هيكل

تحدث المؤلف عن حياة هيكل الذي ولد في عام ١٨٨٨ وبيئته في كفر غنام وكذلك عن تعليمه، كما تناول شخصيته التي توزعت بين السياسة والحزبية من جهة، والأدب والصحافة من جهة ثانية، والفكر والسياسة من جهة ثالثة. ويشير الدكتور محمد الى وجود تضارب حول مدى تأثير انغماس هيكل في العمل السياسي في انتاجه الأدبي والفكري.. وهو يرى خلافا لآراء أخرى، ان هذا الانغماس لم يكن عقبة بل عاملا مساعدا في المجال الأدبي لأنه مكّن هيكل من السيطرة على وسائل النشر. وهذا الرأي يوحي لنا بأن الكاتب لا يكفيه أن يخط أعمالا كتابية قيمة وأن يحلق عاليا في عالم الأدب بل لا بد له من توفير الوسائل لنشر أعماله.

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى القاء بعض الأضواء على مؤلفات هيكل ومنها «زينب — جان جاك روسو — في أوقات الفراغ — عشرة أيام في السودان — شخصيات مصرية وغربية — ولدي — ثورة الأدب — حياة محمد — في منزل الوحي — الصديق أبو بكر — الفاروق عمر — مذكرات في السياسة المصرية — هكذا خلقت». ثم يتناول أسلوبه الذي يتسم بالدقة والمنطقية والميل الى الاسهاب، وينتقده بسبب استخدامه العامية وهو محق في هذا النقد نظرا لأن أفضلية الفصحى على العامية أصبحت مسألة مفروغا منها ولا تحتاج الى نقاش. وبانتهاء الحديث عن هيكل ينتهي الفصل الأول من الكتاب ويبدأ الفصل الثاني الذي يتناول تاريخ مجلة السياسة واصدارها وتسميتها. وفي الحقيقة فان هذا هو الترتيب نفسه الذي اتبعه المؤلف في كتابه السابق «الزيات والرسالة» حيث بدأ بأحمد حسن الزيات وحياته ومؤلفاته وأسلوبه ثم انتقل الى مجلة الرسالة وتاريخها واصدارها.

وعندما نتحدث عن السياسة، علينا أن نفرّق بين صحيفة السياسة اليومية، وهي الصحيفة الأم، وصحيفة السياسة الأسبوعية التي تشكل موضوع الكتاب، وكلاهما صدرتا برئاسة محمد حسين هيكل. ويقدم المؤلف مسحا للعدد الأول من صحيفة السياسة الاسبوعية محللاً موضوعاته ومشيرا الى كتّابه. وهذه تعد طريقة مألوفة لدراسة الصحف، ولكن دراسة عدد واحد لا تكفي لاعطاء فكرة عن صحيفة ما، لأن سياسات الصحف وخططها واتجاهاتها التحريرية كثيرا ما تتغير وتتبدل مع مرور الزمن، وان كانت أهدافها تبقى أكثر ثباتا. وفي الحقيقة فان الدكتور محمد، بعد أن يقدم كشفا ضافيا ومفصلا عن العدد الأول من صحيفة السياسة، يقوم أيضا في مناسبات معينة خلال صفحات الكتاب بتحليل كثير من الأعداد الأخرى للصحيفة في مختلف مراحل تطورها، ومن الملاحظ أن الترجمة كانت تحتل حيزا بارزا من صفحات السياسة منذ عددها الأول، وهذا يدل على وعي المسؤولين عن الصحيفة بقيمة الترجمة ودورها الحضاري العظيم. ويتحدث المؤلف خلال الفصل الثاني من الكتاب عن مراحل تطور المجلة ويقسمها الى أربعة أطوار: يبدأ الطور الأول منها من العدد الأول الصادر في ٢٦ مارس ١٩٢٦ وحتى العدد ٣٤ الصادر في ٣٠ أكتوبر ١٩٢٦. وتمتاز الصحيفة في هذا الطور بكثرة الموضوعات الطبية والعلمية. أما الطور الثاني فيبدأ من العدد ٣٥ الصادر في ٦ نوفمبر ١٩٢٦ وينتهي بالعدد (٢٥٥) في ٢٤ يناير ١٩٣١. وفي هذه المرحلة أدخلت المجلة بعض التجديد على موضوعاتها وأبوابها، كاحداث القسم النسوي الذي كانت تحرره مي، كما أضحت الموضوعات الأدبية فيها أكثر وضوحا. الا أن أهم تطور هو أنه أصبح للصحيفة عدد كبير من المراسلين في الخارج. وفي العدد ٢٥٦ كتب هيكل مقالا بعنوان «حرية القلم لِمَ يناصبها الطغاة الحرب العوان». فكانت النتيجة مصادرة المجلة ومن ثم احتجابها لمدة سبع سنوات، وهذا يدل على أن أصحاب القلم الجريء معرّضون دائما للانتقام، لأن الكلمة الحرة تشكل أكبر خطر على المتسلطين. ويبدأ الطور الثالث في ٢٦ يناير ١٩٣٧ وينتهي في ٣ يناير ١٩٤٢. وفي هذه المرحلة برزت الموضوعات الحزبية وفقدت المجلة صفتها الاستقلالية وأصبحت تنطق بلسان فئوي. وبصدور العدد ٢٥٣ في ١٠ يناير ١٩٤٢، يبدأ الطور الرابع الذي ينتهي مع العدد ٦٢٤ الصادر في ٢٨ مايو ١٩٤٩. وهذه المرحلة هي مرحلة الذبول التي دب فيها الوهن الى أوصال الصحيفة واعتراها الخمول والجمود. وأحد الأسباب الهامة لذلك انصراف رئيس تحريرها عنها وانشغاله في أمور سياسية. ولا ريب أن تفرغ رئيس التحرير لصحيفة ما وتكريسه كامل وقته لمتابعة شؤونها هو من أهم عوامل ازدهارها ورواجها.

ومن السمات الأخرى لصحيفة السياسية في طور الذبول كثرة الموضوعات الاخبارية المنقولة عن وكالات الأنباء، فيها. ويتناول المؤلف في الفصل الثالث من الكتاب موضوعات صحيفة السياسة وأبوابها وكذلك كتابها ومحرريها بالاضافة الى اخراجها واعدادها الخاصة.

وعلى الرغم من أن الدكتور محمد يدرج صحيفة السياسة في عداد الصحف الأدبية، فانه عند الحديث عن مضمونها يشبهها بمائدة عامرة بمختلف الأطعمة والأشربة وحافلة بشتى صنوف الأدب والعلم والفن والتربية والسياسة والاقتصاد وغير ذلك. وكانت السياسة تنشر مقالات وخواطر ويوميات واخبارا. الا أن اهتمامها بالمقال كان أكبر من اهتمامها بالخبر. وهذا أمر طبيعي لأن الصحيفة اليومية هي التي تعنى بالدرجة الأولى بالخبر. ويقل الاهتمام بالخبر كلما طالت فترة صدور المجلة. وكانت السياسة تنشر الى جانب المقالة العادية، المقالات الصحفية والقصة الموضوعة والمترجمة. أما بالنسبة لأبواب المجلة فيذكر المؤلف أن هناك أبوابا ثابته وأخرى متغيرة. ومن أبوابها الثابتة

«الافتتاحية» وكان يكتبها في معظم الاعداد رئيس التحرير نفسه، أي هيكل، وينوب عنه أحيانا حافظ محمود «في المرآة» وكان يحررها عبد العزيز البشري — «القصة المترجمة» لعبدالله عنان — «الشعر» ومعظم القصائد المنشورة كانت لأحمد شوقي وحافظ ابراهيم — «القسم النسوي والاجتماعي» وكانت تحرره مي — «العلوم» وكان يكتب فيها أحمد الشربيني وعبد الحليم محمد وغيرهما — المسارح والمشاهد لحسن محمود ومحمد توفيق يونس — «سياسة الاسبوع» لهيكل — «الصحافة في أسبوع» لقدامة — «المحاكم والأحكام» — «أسبوع السياسة الخارجية». وكانت السياسة، في معظم مراحل تطورها تهتم اهتماما كبيرا بالأعداد الخاصة. ومن بين الأعداد الخاصة التي أصدرتها «شوقي — سعد زغلول — الوثائق السياسية — عبد الخالق ثروت — حافظ ابراهيم — شئون مصر — عهد الفاروق — الزفاف الملكي — الامام محمد عبده — الخديوي اسماعيل — أحمد ماهر... الخ» وعناوين هذه الأعداد تعكس اهتمامات الصحيفة الرئيسية وهي اهتمامات سياسية وأدبية.

وعند تناول كتاب المجلة ومحرريها، يبين المؤلف أن معظم هؤلاء كانوا من خارج المجلة. ونعتقد أن هذه الميزة توفر تنوعا أكبر في الأقلام، ولكن لا بد بالطبع من أن يكون هناك جهاز تحريري ثابت في كل صحيفة أو مجلة يقوم بتغطية بعض الزوايا والأبواب التي يصعب تغطيتها من خارج المجلة. وقد لاحظ الدكتور محمد أن معظم المجلات الاسبوعية في الوطن العربي يحتكرها كتّاب من داخل المجلة مما يحرم القراء من ميزة تنوع الأقلام، وهذا صحيح الى حد كبير بالنسبة للصحف اليومية والمجلات الاسبوعية، ونذكر على سبيل المثال مجلتي «المستقبل» و«النهضة» ولكنه لا ينطبق على المجلات الشهرية والفصلية العربية، على الأغلب. ويقسم المؤلف كتّاب السياسة المعروفين الى ثلاث فئات:

- الكتّاب الدائمون ومنهم هيكل نفسه، ومحمد عبدالله عنان، ومحمود عزمي.
- الكتّاب الذين كانوا يكتبون لها من حين الى آخر، ومنهم طه حسين، فكري أباظه، المازني، علي محمود طه، ابراهيم ناجي، جميل الزهاوي وغيرهم.
- الكتّاب الذين أسهموا في النشر فيها دون انتظام ومنهم: زكي المبارك وأحمد زكي أبو شادي ومحمد فريد أبو حديد.

وتناول المؤلف أيضا في الفصل الثالث، اخراج المجلة فتحدث عن قطعها وغلافها وكذلك عن نوع ورقها وحروف طباعتها، كما استعرض اخراج صفحاتها الداخلية وألوانها وصورها ورسوماتها والسمات الأساسية لاخراجها كالطرافة والعناية باخراج الشعر والاهتمام بالفهرس والاكثار من الكاريكاتور. وتعرض الدكتور محمد في الفصل الرابع لادارة الصحيفة وتوزيعها واعلاناتها. وهذه الأمور، على الرغم من أهميتها التوثيقية، فانها قد لا تهم القارىء كثيرا، لأن اهتمامه الرئيسي ينصب عادة على تحرير الصحيفة وأهدافها وكتّابها. وعلى كل فان في هذا الفصل بعض المعلومات الهامة عن شؤون الصحف المالية. وهي تلقي الضوء على المتاعب التي تواجهها الصحف الخاصة في تغطية مصروفاتها، وعلى عدم قدرتها على دفع مكافآت مالية كافية لقاء نشر مقالات الكتاب. أما الفصل الخامس فهو مخصص للحديث عن أهداف صحيفة السياسة وآثارها. وكان الهدف الأساسي للصحيفة التعبير عن آراء الناطقين بالضاد وتوثيق روابط التفاهم بين العرب ونقل آراء الغرب اليهم. ومن أغراضها الواضحة أيضا التنوير والدعوة الى التجديد واجلاء الشخصية المصرية وعرض مشكلات المجتمع المصري المعاصرة، كما تناول المؤلف آثار صحيفة «السياسة» الأدبية والحضارية والاجتماعية. فقد سدت الصحيفة عند صدورها فراغا أدبيا كبيرا، وكان الأدباء يفيدون منها، كما كانت تفيد منهم. ومن مميزاتها الأخرى تشجيعها الكتاب الشباب الناشئين وأخذها بأياديهم. ومن الجانب الحضاري قد أسهمت الصحيفة في ربط الشرق العربي والاسلامي بالحضارة الأوروبية، وكذلك في ربط مصر نفسها بالشرق وبالغرب ربطا اعلاميا وثقافيا.. وكان للسياسة دور ملحوظ في التمهيد لتطور فكرة القومية والوحدة العربيتين ولشعور المصريين بأنهم جزء من الوطن العربي. وفي المجال الاجتماعي كان لها تأثير في تقاليد المجتمع وتفكيره نظرا لمكانتها الكبيرة عند القراء.

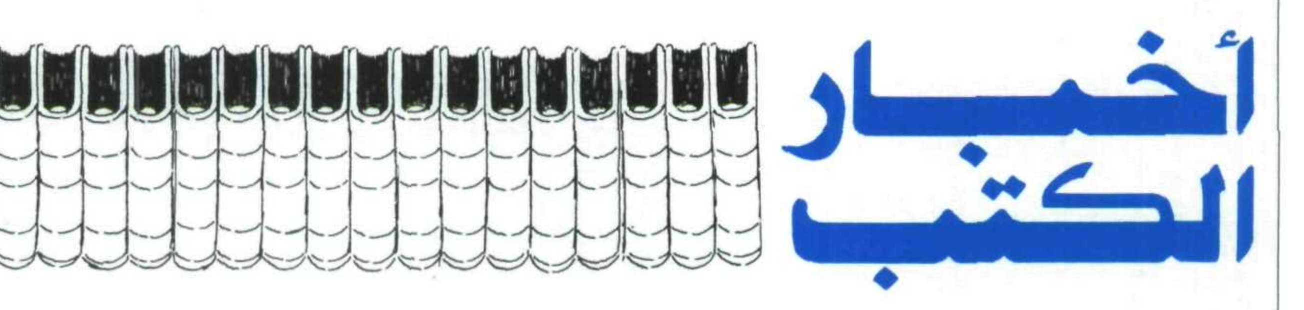
ويعقد المؤلف في هذا الفصل أيضا مقارنة بين السياسة والبلاغ الأسبوعي، بعد أن استبعد مقارنتها بـ«الرسالة» أو «الثقافة» أو «الجديد» بسبب عدم وجود أوجه شبه بينها وبين هذه المجلات. وتتشابه السياسة والبلاغ في عدة أوجه، منها صدورهما خلال عام واحد هو عام (١٩٢٦) وعنايتها المشتركة بالجانب العلمي، وبالمقالات السياسية، وتماثل القسم النسوي فيهما، واعتمادهما على أقلام قوية.

أما عن أوجه الخلاف بين الصحيفتين فهي قليلة ومنها اهتمام السياسة بالشعر أكثر من اهتمام البلاغ به. ويعارض الدكتور محمد وجهة نظر الدكتور فياض التي تذهب الى أن السياسة الأسبوعية تميل الى الثقافة الفرنسية في حين تميل البلاغ الاسبوعي الى الثقافة الانكليزية، وهو يرى أن الأدباء المصريين تأثروا بالثقافتين معا.

وفي خاتمة الكتاب يتحدث المؤلف عن تجربة السياسة وينعى عليها انزلاقها في مهاوي الحزبية وابتعادها عن المسار الأدبي والثقافي في آخر أطوارها. وبذلك فشلت الصحيفة في أن تكون صحيفة أدبية كما فشلت في أن تكون صحيفة سياسية.

وهكذا تنتهي جولتنا السريعة بين جنبات كتاب حديث يستقي أهميته من عناصر كثيرة منها كونه كتابا وثائقيا ذا قيمة مرجعية، وكون مؤلفه متخصصا في قضايا الاعلام والصحافة، وكون المكتبة العربية تفتقر بصورة واضحة الى كتب الصحافة الناجحة، وأخيرا كون الصحيفة التي تمثل موضوع الكتاب صحيفة عريقة قامت بدور ثقافي وأدبي كبير على الصعيدين العربي والمصري □

أخبار الكتب



* الأديب الفائز بجائزة نوبل في الأدب في العام الحالي «ماركيز» صدرت طبعة عربية لروايته «مائة عام من العزلة» قام بها الدكتور سليمان العطار وراجعها الدكتور محمود علي مكّي ونشرتها الهيئة المصرية.

وصدرت روايتان عربيتان جديدتان هما «الوشم» للاستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي ونشر الدار العربية للكتاب، و«رحلة خارج اللعبة» للاستاذ فتحي الأبياري ونشر الهيئة المصرية.

* كتابان في العلوم الاجتماعية نشرا مؤخرا، هما «مناهج البحث في العلوم الاجتماعية» للدكتور صلاح الفوال ونشر مكتبة غريب، و«علم اجتماع الادارة» للدكتور عبد الهادي الجوهري ونشر دار المعارف. كما صدر كتاب «مشكلات التفاعل الاجتماعي» للدكتور محي الدين احمد حسن عن دار المعارف.

* «أطفالنا وحاجاتهم النفسية» عنوان دراسة نفسية مبسطة صدرت للدكتورة كلير فهيم عن مؤسسة أخبار اليوم.

* كتابان من كتب الفلسفة ظهرا أخيرا، هما «الفلسفة ومباحثها» للدكتور محمد علي أبو ريان ونشر دار المعارف، و«سارتر بين الفلسفة والأدب» لموريس كرانستون وترجمة الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد ونشر الهيئة المصرية.

* أحدث كتب الدكتور مصطفى محمود عنوانه «مغامرة في الصحراء» وقد صدر عن دار المعارف.

* دراسة في حياة بعض ذوي الرأي والتيارات التي يمثلونها صدرت للأستاذ احمد خالد عن الدار العربية للكتاب بعنوان «شخصيات وتيارات». وهذه هي الطبعة الثالثة من الكتاب.

* طائفة من الكتب العلمية نشرت أخيرا منها «حرب الفضاء» للواء خضر الدهراوي ونشر دار المريخ، و«من جالينوس الى غلوقن» للأستاذ محمد سليم سالم ونشر الهيئة المصرية، و«الغازات الصناعية» للمهندس سعيد عبد الغفار، و«محاضرات في الجيولوجيا» للدكتور محمد فتحي عوض الله، و«الديناميكا الهندسية» للدكتور حماد يوسف، و«المناخ والعمارة» للدكتور سمير حسين بيومي، والكتب الأربعة الأخيرة من نشر دار المعارف.

* «مدن عراقية» هو عنوان الكتاب الذي يعده العلامة العراقي جعفر الخليلي عن تاريخ المدن الرئيسية في العراق وموضعها في الحياة الفكرية.

وسبق للعلامة العراقي الخليلي أن أصدر دراسة عن النجف ودورها في الحركة الأدبية.

* «محمود محمد شاكر: عنه واليه» عنوان كتاب ضخم أعده أصدقاء العلامة محمود محمد شاكر وتلاميذه محتويا على دراسات وقصائد عنه ودراسات مهداة اليه بمناسبة قضائه أكثر من ستين عاما في خدمة اللغة والتراث والدين. وقد نشرت هذا الكتاب الضخم في طبعة فاخرة مكتبة الخانجي.

ومما يذكر أن العلامة شاكر منح أخيرا جائزة الدولة التقديرية تتويجا لكفاحه العلمي، كما انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة فاستقبله في المجمع زميله العلامة الاستاذ عبد السلام هارون بدراسة ضافية عنه. وسبق للعلامة شاكر أن انتخب عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية بدمشق.

* صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني «فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الابراهيمي في الخليل» وقد قام باعداده الأستاذ محمود على عطاالله وصدره الدكتور محمد عدنان البخيت.

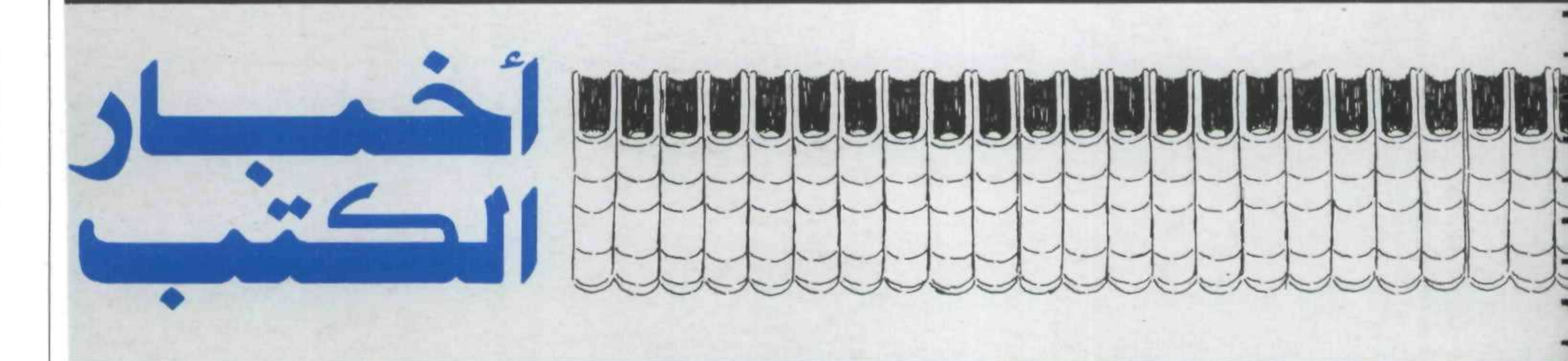
* من كتب التراث التي حققت أخيرا: «العلم وقواعد العقائد» للامام الغزالي، جمع وتحقيق الحافظ التجاني ونشر مكتبة الآداب، و«نخبة الشارب وعجالة الراكب» رباعيات نظام الدين الأصفهاني، وهو من تحقيق الدكتور كمال أبو ديب ونشر دار العلم للملايين، و«قصيدة البردة لكعب بن زهير»، شرح أبي البركات بن الأنباري وتحقيق الدكتور محمود حسني زيني ونشر القاهرة.

* خصصت مجلة «فصول» عددين ضخمين من أعدادها لبحوث مسهبة عن الشاعرين حافظ وشوقي بمناسبة الاحتفال بانقضاء خمسين عاما على وفاتهما. وشارك في اعداد مادة العددين الدكتور شوقي ضيف والدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور حسين نصار والدكتور حسين بكار والدكتور محمد مصطفى بدوي والدكتور صالح جواد الطعمة والدكتور شكري عياد والدكتورة انجيل بطرس سمعان وغيرهم.

* ومن كتب السير والتراجم التي صدرت أخيرا: «ابن قلاقس: حياته وشعره» للدكتورة سهام الفريح وطبع الكويت، و«حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخيل في الشعر» للدكتور سعد مصلوح ونشر عالم الكتب، و«هؤلاء عرفتهم» للأستاذ عباس خضر ونشر دار المعارف في سلسلة «اقرأ».

* أحدث ما صدر للأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم «كتاب مع الكواكب» وقد نشرته دار الآداب.

* في علوم الاتصال بالجماهير صدرت طائفة من الكتب هي: «مدخل الى الاذاعة الموجهة» للدكتورة ماجي الحلواني، و«السينما التسجيلية الوثائقية في مصر والعالم العربي»



للدكتورة منى سعيد الحديدي ونشرت الكتابين دار الفكر العربي، و«أسس العلاقات العامة» و«العلاقات العامة في المؤسسات المالية» وهما من تأليف الدكتور علي عجوة ونشر عالم الكتب.

* من الكتب الطبية المبسطة التي نشرت أخيرا ما يلي: «مشكلة الطفولة والمراهقة» للدكتور ميخائيل ابراهيم أسعد والتدكتور مالك سليمان مخول ونشر دار الآفاق الجديدة، ببيروت، و«كيف تفكر المرأة» للدكتور حافظ علي يوسف ونشر مؤسسة الأهرام، و«أنا وطفلي والطبيب» للدكتور ابراهيم شكري ونشر القاهرة.

* دراسات أدبية تناولت الشعر وقضاياه صدرت أخيرا منها «الصورة والبناء الشعري» للدكتور محمد حسين عبدالله ونشر دار المعارف، و«مقالات في الشعر: رؤيا العصر الغاضب» للاستاذ ماجد صالح السامرائي ونشر دار الطليعة، و«المعارضة في شعر شوقي» للدكتور ابراهيم غوضين ونشر القاهرة، و«أزمة القصيدة الجديدة» للدكتور عبد العزيز المقالح، ونشر دار الكلمة بصنعاء، و«العلاج بالشعر» للأستاذ فاروق شوشة ونشر دار المعارف.

* من الدراسات التي تناولت الأدب الحديث ما يلي: «أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث» للدكتور البدراوي زهران ونشر دار المعارف، و«أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي» للأديبة ليلى محمد صالح وطبع الكويت، و«رحلتي مع القراءة» للأستاذ يوسف الشاروني ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ويصدر للأستاذ الدكتور عيسى الناعوري كتاب جديد عنوانه «من الأدب الحديث».

* وفي اللغة العربية صدر كتابان جديدان هما «العربية الصحيحة» و«دراسات الصوت اللغوي» من تأليف الدكتور أحمد مختار ونشر عالم الكتب.

* من الكتب التي تعالج الجوانب المختلفة للدين ما يلي: «الأعمال الكاملة للامام الراحل الشيخ محمد أبو زهرة» وقوامها ٣٤ كتابا عن الأئمة والفقه الاسلامي وقد نشرتها دار الفكر العربي، و«منهج ابن تيمية» للاستاذ صبري المتولي ونشر عالم الكتب، و«الاسلام وقوانين الوجود» للدكتور محمد جمال الدين الفندي ونشر الهيئة المصرية، و«نشأة التربية الاسلامية» و«ديمقراطية التربية الاسلامية» وكلاهما للدكتور سعيد اسماعيل علي ونشر عالم الكتب.

* في الشعر ظهرت طائفة من الدواوين الجديدة منها: «قصائد الى الحبيب» للدكتور مانع سعيد العتيبه ونشر المؤسسة العربية للاعلام في أبو ظبي، و«الدائرة المحكمة» للشاعر فاروق شوشة ونشر مكتبة مدبولي، و«شجر الدفلى على النهر يغني» للاستاذ حيدر محمود وطبع الأردن، و«ديوان علي شوقي» ونشر مكتبة الآداب، و«ثلاثة وجوه على حوائط المدينة» للأستاذ حسين علي محمد ونشر سلسلة «كتابات الغد»، وطبعة ثانية من ديوان «صدى الأيام» للشاعر الدكتور محمد رجب البيومي ونشر القاهرة.

* صدر للدكتور نوال الصراف الصايغ كتاب عنوانه «المرجع في الفكر الفلسفي» نشرته دار الفكر العربي.

* من الروايات العربية الجديدة التي صدرت: «لكن شيئا ما يبقى» للاستاذ فتحي أبو الفضل ونشر دار المعارف، و«الحياة في خطر» للأديبة وفية خيري ونشر دار الحرية بالقاهرة، و«المقهى الزجاجي» و«الأيام الصعبة» وهما للاستاذ محمد البساطي ونشر القاهرة، و«طائر في العنق» للاستاذ ثروت أباظه ونشر مكتبة غريب، و«تمساح البحيرة» للأديبة اقبال بركة ونشر مكتبة غريب أيضا، كما صدرت روايتان مترجمتان هما «الفردوس المفقود» لجون ملتون وترجمة الدكتور محمد عناني، و«هنري أزموند» لوليم تاكري وترجمة الاستاذ عبيد الحميد سليم، ونشرت الروايتين الهيئة المصرية.

* أما الأقاصيص الصادرة في مجموعات، فمنها: «حتى لا يغضب القمر» للأستاذ حسن عبد المنعم ونشر الهيئة المصرية، و«حكايات الزمن الجريح» للأستاذ يوسف القعين ونشر دار الثقافة الجديدة، و«البحيرة الوردية» للاستاذ محمد كمال محمد ونشر دار المعارف، و«سر الماء» للاستاذ عبد الرحمن مجميد الربيعي ونشر المؤسسة العربية للدراسات، و«القرين» و«لا أحد» وهما للاستاذ سليمان فياض ونشر الهيئة المصرية، و«النبش في الذاكرة» للاستاذ احمد حميدة ونشر القاهرة، و«داخل الكابينة» للاستاذ محمد الجمل ونشر القاهرة، و«البير وغطاه» للاستاذ عباس أحمد ونشر الهيئة المصرية.

* بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري صدر كتاب «أزمنة التاريخ الاسلامي» من تأليف الدكتور عبد السلام الترمانيني ومراجعة الدكتورين شاكر مصطفى واحمد مختار العبادي ونشر المجلس الوطني للثقافة في الكويت.

* صدرت عن اليونسكو الطبعة العربية من كتاب «أصوات متعددة وعالم واحد» وهو يتناول قضايا التواصل بين شعوب مختلفة اللغات □

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بهذه الطائفة من المؤلفات الأدبية والتربوية والثقافية :

* «ذكريات لا تنسى» للأستاذ محمد المجذوب، وهو كتاب يستعرض فيه المؤلف مشاهداته وانطباعاته عن العديد من البلدان التي زارها وخاصة بعض بلدان الشرق الأقصى. ويقع الكتاب في ١٩٩ صفحة من الحجم العادي، وهو من مطبوعات تهامة.



* «الرياض : مدينة المستقبل»، وهو كتاب شامل يحكي قصة الحضارة القديمة والجديدة ومظاهر النهضة الشاملة التي تعيشها عاصمة المملكة العربية السعودية، والمستقبل الزاهر الذي ينتظرها. والكتاب مزود بالصور التي تحكي قصة تطور هذه المدينة عبر الأجيال الماضية. وهو يقع في ٣٠٣ صفحات، وقد صدر عن المعهد العربي لانماء المدن.



* «دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها» للأستاذين أحمد الخازندار ومحمد ابراهيم الشيباني. وهو دليل شامل يحتوي على مؤلفات السيوطي، رحمه الله، وقد تم ترتيبه موضوعيا. وهو مذيل بفهرس هجائي للعناوين وبآخر للمكتبات العالمية والخاصة وذلك حتى يسهل على الباحث الوقوف على ما يحتاجه من مؤلفات السيوطي. وهو من نشر مكتبة ابن تيمية.



* «معجم العلماء العرب» للمحامي باقر أمين الورد، وقد تم طبعه بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية. ويضم المعجم أسماء العديد من علماء العرب القدامى وموجزا عن انجازاتهم العلمية خلال العصر الذهبي للعلوم الاسلامية ومدى تأثر الغرب بهذه الانجازات. ويقع المعجم في ٢٨٥ صفحة من الحجم العادي.



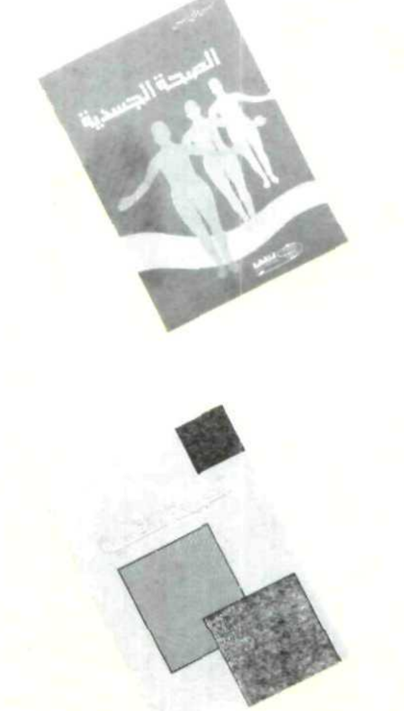
* «من أوراقي» للأستاذ محمد سعيد العامودي، وهو كتاب يبحث في أمور أدبية متشعبة اضافة الى الحديث عن عدد من الشعراء المعروفين. وهو من مطبوعات تهامة بجدة، ويقع في ١٣٥ صفحة من الحجم العادي.



* العدد السابع من مجلة «البحوث الاسلامية»، وهي مجلة فصلية تُعنى بالبحوث الاسلامية وتصدرها الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض، وتضم العديد من المواضيع الدينية والعلمية القيمة.



* «الصحة الجسدية والصحة النفسية» كتابان للاستاذ حسن مرضي حسن. يبحث الأول في الأمراض الأنثوية، بينما يبحث الثاني في الحالات النفسية لكل من الرجل والمرأة. والكتابان من اصدار الدار العالمية للطباعة والنشر.



كتب مهداة

* «وللسلام كلام» للأستاذ سعد البواردي، ويضم الكتاب بين دفتيه خواطر ومعايشات اجتماعية تنصب في أهمية توطيد العلاقة وحسن المعاملة بين الأفراد في المجتمعات، وذلك لدفع عجلة الحياة نحو الأمثل. ويقع الكتاب في أربعمائة وخمس صفحات من الحجم المتوسط، وذيّل بفهرس في أربع عشرة صفحة. وقد أصدرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض.

* «اعلام العرب والمسلمين في الطب» للدكتور علي عبدالله الدفاع، عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن بالظهران، نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت. وهذا الكتاب، الذي يقع في مائتين واربعين صفحة من الحجم المتوسط والمذيل بقسم خاص بالمصادر والمراجع وبفهرس للاعلام، يعطي فكرة سريعة عن دور العلماء المسلمين في مجال العلوم عامة والطب خاصة لخدمة الانسانية. وقد خصص المؤلف في كتابه هذا بابا لمكانة الطب في العصور الاسلامية، وبابا آخر لرواد علم الطب في الحضارة الاسلامية.



* «مخطوطات مكتبة الحرم الابراهيمي. في الخليل» و«مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا»، وهما فهرسان من اعداد الاستاذ محمود على عطاالله. ويشتمل الأول على نحو ١٦٦ صفحة والثاني على ٩٤ صفحة. وهما من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني.



* «الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني» وهو كتاب يشتمل على نص ندوتين وسبع محاضرات أقيمت في المجمع خلال شهري نيسان وأيار (ابريل ومايو). ١٩٨٣ وقد شارك فيها عدد من كبار رجال الفكر والأدب في الأردن والعالم العربي. وكان موضوع احدى الندوتين «تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي» وقد شارك فيها الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع، والدكتور اسحق الفرحان، عضو المجمع، والدكتور همام غصيب



من الجامعة الاردنية. وكان موضوع الندوة الثانية «اللغة العربية في مواكبة النهضة الحديثة» وقد شارك فيها الدكتور ناصر الدين الأسد، والاستاذ عبد الرحمن بشناق، والدكتور محمود ابراهيم، وجميعهم أعضاء في المجمع. أما المحاضرات فقد تناولت المواضيع التالية: «مساهمة المغرب في بناء الحضارة الاسلامية» للاستاذ عبدالله كنون، «تصنيف العلوم عند العرب» للدكتور احسان عباس، «تجربتي مع التراث العربي»، للأستاذ عبد السلام هارون، «مجتمعنا والحضارة المعاصرة» للاستاذ الشيخ ابراهيم القطان، «المعاجم العربية القديمة» للدكتور ابراهيم السامرائي، «حول المعجم العربي الحديث» للاستاذ احمد شفيق الخطيب، و«المعجم والتعريب» للاستاذ حسن الكرمي. ويقع الكتاب في نحو ٢٨٠ صفحة من الحجم المتوسط.

* «الخطب الطوالع والحكم الجوامع» الطبعة الثانية، وهو كتاب حديث يشتمل على ٧٣ خطبة من تأليف الشيخ ابراهيم بن علي الناصر، ويقع في ٣٢٣ صفحة. وتبحث مواضيع الخطب في التوحيد وفي فضل الاسلام والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وبر الوالدين وما الى ذلك من الفضائل وصالح الأعمال.



* الجزء الثاني من المؤلف «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين» لمحمد على المغربي. ويضم الكتاب ٢٤ فصلا تناول فيها المؤلف حياة أمير المؤمنين قبل وبعد ظهور الاسلام. وهو كتاب جامع شامل لحياة الفاروق، رضي الله عنه، ويقع في ٤٠٠ صفحة. وقد صدر ضمن سلسلة «أعلام الصحابة» □

قصة قصيرة :



بقلم : حسن حسن سليمان / عرعرة



بدت الشقة كئيبة حزينة، خاوية كخواء الأطلال، صامتة كصمت القبور. فقد تحولت الى ساحة تناثرت فيها قطع الأثاث والفراش والحقائب والصناديق، على غير نظام. الخزانة الخشبية التي ضمت ألواحها بعضها الى بعض أثارت مشاعره فبدت بلونها البني وكأنها تابوت ميت، والنوافذ المفتوحة وقد نزعت الستائر عنها بدت — والريح تصفر من خلالها — كالأفواه الفاغرة تصرخ مولولة تبكي أهلها الراحلين عنها عما قليل. بالأمس باعوا المكيف والثلاجة وشيعوهما الى باب الشقة بالآهات والزفرات كأنما يشيعون عزيزين عليهم الى مثواهما الأخير، ويلقون عليهما نظرة الوداع الأخيرة.

ومرّت بخاطره على عجل ذكريات السنوات الثلاث التي أمضاها في هذه الشقة، فأحس بقلبه يتفطر وتتناثر أشلاؤه في زواياها، أيام جميلة مليئة بالصفاء وساعات سعيدة مفعمة بالمسرات والهناء، قضاها فيها، يذكره بها كل ركن من أركانها. ذكريات عزيزة غالية عاشت في قلبه وترعرعت وضربت بجذورها في أعماق نفسه.

ولم يلبث العفش أن استقر في السيارة، فخلت الشقة الا من أشلاء قلب وبقايا ذكريات. وأعلن صوت محرك السيارة أن ساعة الوداع قد حانت وأن وقت الرحيل قد دنا. وهذا يعني أيضا أن عليهم أن يستعدوا لرحلة طويلة شاقة، وأن يوطنوا أنفسهم على قضاء ليلتهم في العراء وتمضية جل نهارهم غدا على الطريق قبل أن يصلوا الى بغيتهم.

أخذت زوجته وأولاده الصغار الأربعة أماكنهم في السيارة. وقبل أن يصعد ليأخذ مكانه الى جانب السائق تقدم أحد الزملاء المودعين وهمس في أذنه قائلا: اذا كنت تريد أن يستمر السائق في سيره الى أطول مدة من الليل فيجب أن تظل تحادثه في أي موضوع، في أي شيء، يجب أن يظل يتكلم، يثرثر، حتى لا يسيطر عليه النعاس ويغلبه النوم!

الله يسامحك! قالها لزوجته وهو يتنهد من أعماق قلبه بينما كان يأخذ مكانه في السيارة. لقد عرض عليها أن يرسلوا عفشهم في سيارة شاحنة ثم يلحقوا به في سيارة صغيرة. ولكنها ألحّت على مرافقة العفش في السيارة ذاتها. وعملا بنصيحة الناصحين فقد استقر الرأي على أن يسافروا في براد من برادات الخضار التي ترجع فارغة الى بلدهم، فالعفش سيصل نظيفا من الغبار والأتربة وسوف يبقى كذلك بعيدا عن حرارة الشمس اللافحة، عدا عما تمتاز به هذه البرادات من قدرة على مواصلة السير وما يمتاز به سائقوها من صبر وجلد على السياقة بلا توقف...

أخذ مكانه هو وزوجته الى يمين السائق وأخذ الأولاد أماكنهم خلفهما في الكابينة الثانية اذ أن فكرة ركوب الأولاد داخل البراد أفزعته ولم يستسغها فآثر أن يرصهم خلفه فيكون أكثر اطمئنانا عليهم لا سيما وأن السفر جاء في آخر النهار حيث الطقس معتدل وحيث سيقطعون الجزء الأكبر من الطريق خلال الليل وفي الصباح قبل أن يشتد الحر في الظهيرة.

انطلقت بهم السيارة وسط جمع المودعين من الزملاء والجيران وحشد المتفرجين من صبية الحي. وقد علا ضجيجهم في الشارع وكأنه أزيز طائرة، وراحت تخترق شوارع البلدة وطرقاتها التي عرفته مدة سنوات سبع فأحس بدبيب حبها في قلبه كما لم يحس به من قبل، وشعر لفراقها بلوعة لا تعد لها الا لوعة فراق الأهل وغياب الأحبة. حقيقة ان الانسان لا يعرف مقدار قيمة الأشياء الا حينما يفقدها أو يجد نفسه بعيدا عنها.

كانت الشمس قد مالت نحو الأفق الغربي تستعد هي للرحيل، وقد شحب لونها ونشرت أشعتها الصفراء الحزينة على الكون تود أن لا تفارقه، كأنها محبة تخاف لوعة الفراق فدب فيها السقم واعتراها الهزال والذبول وهي تعانقه وتغمره بشعرها الذهبي تودعه قبل أن تغيب عنه.

رحلت الشمس وبدأ الليل يزحف على الصحراء المترامية الأطراف رويدا رويدا، حتى تمت له السيطرة على ربوعها وأرجائها، فلفها بسكونه الرهيب وبسط عليها جناحيه الأسودين فاستكانت له واستسلمت اليه.

ومضت السيارة تمخر عباب الظلام المتراكم وتشق أمواجه بلا ملل ولا كلل. وهي تعلو تارة وتهبط أخرى، وتزأر أحيانا ثم تهدأ كأنها تقاتل أشباح الليل ومردة الظلام.

مضى من الليل نصفه أو كاد، كل شيء من حولهم صار يبعث على النعاس ويغري بالنوم: الظلمة الحالكة التي لا يبصرون فيها شيئا، الا ما تكشفه لهم أضواء السيارة، والنسمات العليلة التي أخذت تهب عليهم بعد نهار قائظ، وصوت محرك السيارة الرتيب وهو يعزف لحن الصحراء الخالد. وتذكر وصيّة صاحبه، لا بد أن يجر السائق الى الحديث في أي موضوع حتى لا يغلبه النعاس ويستسلم للنوم، تحدث اليه في السياسة، في الاقتصاد، في الأخلاق، في الاجتماع، في المواصلات، وحتى في الشئون المنزلية، أحاديث تثير الضحك أحيانا، وأحيانا تثير السخرية، وأحيانا تثير الغثيان. وكان يرغم نفسه على تجرع تلك الأحاديث على مضض كما يتجرع المريض ملعقة من الدواء المر الكريه، ولم يكن في أكثر الحالات يعي شيئا مما يسمع لعدم احتفاله به أو التفاته اليه، لم يكن مهما عنده عمّ يتحدث السائق فالمهم أن يظل يتحدث، أن يثرثر وكفى.

حادثة واحدة حدّثه عنها، وعاها، بل حفرت في ذاكرته حفرا، روى له أنه مر في احدى سفراته بقرية نائية، فوجد على مشارف القرية جمعا من الناس، استوقفوه، وذكروا له أن أحدهم قد مات وانهم لا يجدون وسيلة ينقلون جثمانه بها الى بلده، وطلبوا منه أن ينقله معه في البراد فأبدى استعداده لذلك وتم نقل الجثمان الى داخل البراد. ساد الصمت برهة ثم سأل السائق قائلا: ألم تشعر بالرهبة والخوف وأنت تسوق السيارة وتعلم أنك تحمل جثة ميت!؟ فأجابه في زهو واعتزاز: لا! لا! تصور أنني حينما أردت أن أنام فقد اضطجعت الى جانب الجثة دون أن أشعر بأدنى رهبة أو أحس بأي خوف، ثم استطرد قائلا: ولم لا؟! نحن السائقين نسافر كثيرا ولذلك نشاهد كثيرا! نحن ذئاب الصحراء وفرسان الليل. ثم أخذ يسرد وصفا تفصيليا لمشهد تسليم الجثمان الى ذويه، وقد خلط حديثه بما شاء له خياله من الأكاذيب والمبالغات.

سكت السائق عن الكلام، بعد أن أفرغ كل ما في جعبته ونضب معين أفكاره فانقطع سيل أحاديثه. صمت الجميع. وساد السكون مرة أخرى الا من صوت محرك السيارة وصوت عجلاتها فوق الحصى الذي كان يتطاير من حولها ثم يرتطم بجوانبها مرة أخرى.

اقترح عليهم السائق أن ينالوا قسطا من النوم والراحة بعد أن تسمرت ظهورهم على مقاعد السيارة، وهو كذلك لا يستطيع أن يواصل السير بعد أن نال منه التعب والاعياء وتسلل الى عينيه النعاس. لم يسعهم الا أن يوافقوه على ما أراد، فليس من الحكمة أن يحملوه على مواصلة الرحلة وهو في هذه الحال حرصا على سلامتهم هم على الأقل.

نزلوا من السيارة وافترشوا الأرض، وتناولوا عشاء خفيفا وشربوا الشاي، وذهب السائق لينام في كابينة القيادة، وترك لهم أن يدبروا أمر نومهم كما يشاءون.

أعد لزوجته وأولاده ما يلزمهم من الفراش داخل البراد بعد أن هيأ لهم مكانا بين أكداس العفش وأكوام الأثاث، ثم جلس بباب البراد الذي تركه مفتوحا على مصراعيه ليسمح للهواء البارد أن يصل اليهم. نام الأولاد وأمهم، وبقي هو يقظان يحدق في الظلام من حوله. كان ذهنه ما يزال منشغلا بتلك الحكاية، وزاد من تجسيدها أمام عينيه امتداد الظلام من حوله وسكون الليل المطبق الذي يلف المكان والخزانة الخشبية بلونها البني وقد ضمت ألواحها بعضها الى بعض فبدت كأنها تابوت ميت ممدد داخل البراد، فخيّل اليه أنه يسمع ذوي الميت ويراهم وقد التفوا حول السيارة لحظة انزال الجثمان منها أحس بأعصابه تتوتر وبمشاعره تتحفز، فقد كان مندمجا في المشهد تماما مستغرقا فيه، حتى لكأنه يحس بمناكب القوم يتدافعون من حوله، وبأنفاسهم وكأنها تلفح وجهه وبأصواتهم التي تعالت واختلطت بعويل النسوة وصراخهن تكاد تصم أذنيه.

انتهز فرصة مرور سيارة على الطريق الى جانبهم ليتبين على ضوئها الوقت في ساعته، وهاله أن الساعة لم تجاوز الثانية بعد منتصف الليل، عليه اذن أن ينتظر ثلاث ساعات أخرى أو أربع قبل أن يستأنفوا السير مع انتشار الضياء.

ابتعدت السيارة في جوف الليل، وعاد المكان يغرق في الظلام من جديد. حاول أن يحرر أفكاره من تلك الحكاية التي تتشبث بمخيلته ولا تود أن تفارقها فلم يستطع، كان احساسه بها عميقا ولذلك فقد ملكت عليه كل مشاعره، كانت صورها ومشاهدها ماثلة أمامه لا تكف عن الالحاح على ذهنه وخياله بقوة وباستمرار، حاول أن ينشغل عنها بأي موضوع، استرجع ذكريات السنين التي خلّفها وراءه بحلوها ومرها، وتعمد الوقوف وقفات متأنية عند بعض الأشخاص والأحداث والمواقف، اجتر بعض الذكريات العزيزة الغالية على قلبه، ولكن صورة ذلك الجثمان كانت تقفز فوق كل الأفكار وتطغى على ما عداها. يعود من جديد الى معايشتها ومعاناتها. وخلال ذلك كله فقد كان يحرص على انتهاز فرصة مرور السيارات على الطريق ليتبين على أضوائها الوقت في ساعته، وكان يزعجه أن يرى ساعته تسير في غاية البطء والتثاقل.

بزغ الفجر، بعد ساعات الترقب والانتظار والمعاناة، فبدأت الطمأنينة تتسلل الى قلبه شيئا فشيئا مع تسلل الضياء في ثنايا الظلام، وأخذ يستعيد راحة أعصابه وصفاء ذهنه، وأخذت الصور والمشاهد التي ألحت عليه باستمرار خلال الليل تبدو شاحبة باهتة ثم أخذت تتلاشى تدريجيا حتى تبخرت تحت أشعة الشمس المشرقة التي عانقت الكون من جديد وغمرته بفيض من ضيائها، فأزاحت كابوسا ثقيلا كريها كان يجثم على صدره ويخنق أنفاسه.. ثم زال.

كانت آثار الاجهاد والتوتر بادية عليه. أسرع الى السائق فأيقظه، وأيقظ زوجته وأولاده فشربوا الشاي على عجل، ثم استأنفوا رحلتهم..

ألقى برأسه على مقعد السيارة وأغمض عينيه مستسلما لراحة لذيذة، وراح في سره يشتم الثرثرة والثرثارين □



من كتب الصناعة عند العرب:

في الطب

(٢)

بقلم: د. نقولا زيادة / بيروت

الطب العربي غزير ومتنوع. ويعود تنوعه الى الأصول المتعددة التي استقى منها ونشأ عليها. فمع أنه من المعروف ان الطب العربي تغلب عليه، من حيث مادته الأولية، الأصول اليونانية، فهناك عناصر هندية وفارسية وشامية ومصرية فضلا عن الأصل الجاهلي. وتعود ضخامة هذا التراث الطبي وغزارته الى كثرة الذين عملوا في الطب وكتبوا فيه خلال قرون سبعة أو ثمانية في رقعة امتدت من أواسط آسيا وحوض السند شرقا الى شبه جزيرة ايبريا غربا.

ولعل مما تجدر الاشارة اليه قبل التحدث عن كتب الطب العربية، هو أن نحدد الطرق التي انتقلت عبرها التقاليد والمعرفة الطبية الى العرب. فالكثير من الطب المصري والشامي والبدوي الجاهلي اجتماعيا من جيل الى جيل، مع بقية عادات المجتمع وتجاربه واختباراته. وهذا هو الانتقال الطبيعي غير المباشر. لكن الطب الهندي نقل الى العربية كما نقل الطب اليوناني. الا أن الجزء الأكبر من الذي ترجم الى العربية جاء من الطب اليوناني. وقد تم نقله عن طريقين: الأول جاء عن طريق السريانية والثاني كان نقلا مباشرا عن اليونانية. فقد نقل من كتب العلم والفلسفة والمنطق الى السريانية قبل الفتح العربي للمشرق. (ذلك بأن الكنائس الشرقية لما اختلفت حول قضايا لاهوتية فيما بينها، استعانت بآلة الجدل اليونانية. فترجمتها الى السريانية ومعها علمها وطبها). ومن ثم فان العرب لما افتتحوا بلاد الشام ومصر والعراق وفارس وجدوا في جند يسابور وأدسا (الرهاء، أورفا) علما يوناني المحتوى سرياني الشكل، كما وجدوا في أنطاكية والاسكندرية علما يوناني المحتوى والشكل.

وكان النقل من السريانية أيسر باديء الأمر، ثم جاء النقل عن اليونانية رأسا، وذلك لما أتقن العرب ومترجموهم اليونانية. وجدير بالذكر أنه في الفترة الواقعة ما بين أواسط القرن الثاني ونهاية القرن الثالث للهجرة (أواسط الثامن ونهاية التاسع للميلاد) كان العرب قد تعرفوا الى جماع المعرفة الطبية والفلسفية والعلمية. وقد بدأت الترجمة عملا افراديا انتقائيا، في أواخر العصر الأموي وبدء العصر العباسي. لكن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨هـ/٧٥٤ — ٧٧٥م) هو الذي اتخذ الخطوات الأولى في سبيل تنظيم الترجمة. ولما ولي هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣هـ/ ٨٠٩ — ٨١٣م) عهد الى يوحنا بن ماسويه في ترجمة الكتب الطبية. وأنشأ المأمون (١٩٨ — ٢١٨هـ/٨١٣ — ٨٣٣م) «بيت الحكمة» الذي أصبح أكاديمية للترجمة والبحث العلمي برئاسة سلم الترجمان.

وحري بالذكر ان المؤلفين العرب لم ينتظروا حتى انتهى المترجمون من نقل الطب اليوناني أو الهندي أو غيرها قبل أن يؤلفوا بأنفسهم. فهذا حنين بن اسحاق، الذي كان من كبار المترجمين في بيت الحكمة وحوله، وضع كتابه «عشر مقالات في العين» في الوقت نفسه الذي كان يقوم بالترجمة. صحيح أن كتابه يحتوي على معرفة نظرية، بمعنى ان حنين لم يقم بالتجارب في أمور العين وشؤونها، لكنه جمع فيه الكثير من المادة العلمية بحيث أنه ظل



داميان وكوسم
وهما شقيقان توأمان عربيان عاشا في بلاد الشام حوالي السنة الثلاثمائة بعد الميلاد وقد خبرا الطب والصيدلة، وعالجا المرضى بتوفيق عجيب، وفي الرسم تبين عناية الاخوين باحد المرضى.

عن: تاريخ الطب قبل الاسلام
للدكتور شوكت الشطي

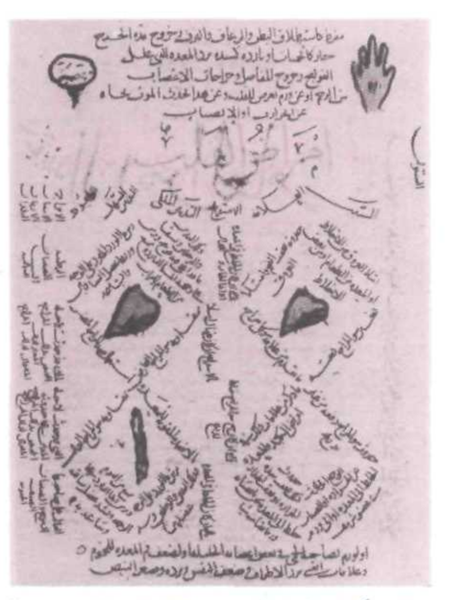
مدة طويلة الكتاب المعتمد فيما يتعلق بالعين من حيث وصفها وتشريحها ووظائفها والعناية بها وحتى فيما يتعلق بعلاج بعض الأمراض التي تصيبها. ومثل ذلك يقال في ثابت بن قرة الحراني من الفترة نفسها. فقد أراد أن يترك لابنه سنان كتابا يرشده في مهنة الطب فوضع كتاب «الذخيرة في الطب». لكن ثابت يختلف عن حنين في أنه وضع في كتابه الكثير من خبراته الشخصية، بحسب جورجي صبحي الذي نشر الكتاب مع ترجمة انكليزية له قبل سنوات كثيرة.

وثمة اسمان يونانيان شهيران في عالم الطب هما «ابقراط» الذي عاش في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، و«جالينوس» الذي كان من أهل القرن الأول للميلاد. وهذان تركا أثرا كبيرا في نفوس الأطباء العرب وعلمهم. فالأول هو صاحب القسم الأبقراطي، الذي يردده أكثر أطباء العالم عند تخرجهم وقبل ممارستهم الطب. وأهمية قسم ابقراط، لهذه المناسبة، هو في أن هذا الطبيب اليوناني أراد أن يكون أساس عمل الطبيب خلقيا، وهنا يبدو لنا الفرق الكبير مثلا بين تشريع حمورابي (القرن الثامن عشر ق.م) البابلي. اذ ان هذا نص على معاقبة الطبيب الذي يسيء التصرف نحو مرضاه. فنص على عقوبات توقع على الطبيب لقاء اساءة استعمال العلاج مثلا. ولكن ابقراط كان يربأ بالطبيب أن يصل الى هذا الحد. اذ كان رأيه أن يقوم الطبيب بواجبه على الوجه الصحيح والسبيل الأقوم، وبذلك لا يكون ثمة حاجة للعقوبة.

أما جالينوس فقد كان امام الطب عند العرب. وبسبب هذه المكانة والمجال الطويل الذي حافظ فيها على مكانته عند العرب، ظل اماما للطب فترة طويلة في تاريخ البشرية لما نقل الطب العربي الى أوربة اللاتينية.

ولعله من المفيد هنا الاشارة الى أن اليونان والعرب (وقبلهم وبعدهم عند كثيرين) كانوا يقبلون بنظرية العناصر الأربعة التي يتالف منها الكون وهي: النار والهواء والماء والتراب. ويقولون بأن ما يصيب الكون من اضطراب مرده الى اضطراب في نسب هذه العناصر، الواحد الى غيره.

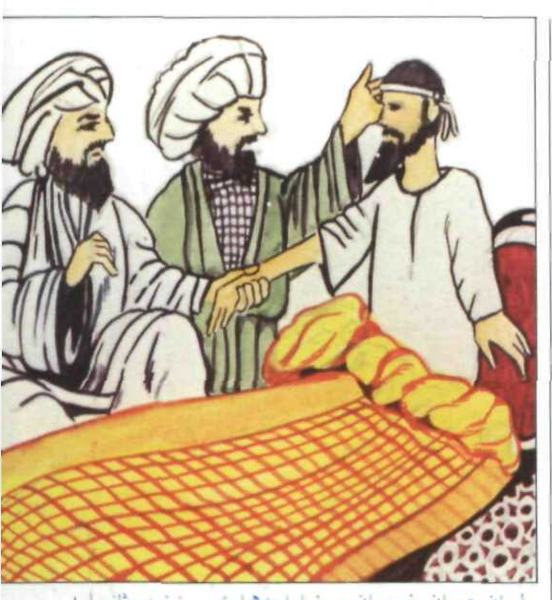
على أن هذه العناصر الأربعة كانت أيضا



صورة مكبرة لصفحة من مخطوطة طبية عربية تم استخدامها في زخرفة قاعات معهد التراث العلمي العربي بحلب.

أساس الجسم البشري في تكوينه. لكن بالنسبة الى الجسم البشري كانت ثمة طبائع أربع تتحكم فيه، وهي: الحرارة والبرد والرطوبة والجفاف. والجسم الصحيح هو الجسم الذي تتسق فيه العناصر الأربعة والطبائع الأربع. فاذا اختل التوازن أصاب الجسم أخلاط — وهذا هو الحالة المرضية. ومعنى هذا ان شفاء المريض يقتضي من الطبيب اعادة الاتساق والتوازن بين العناصر والطبائع. وكان سبيل اعادة الاتساق والتوازن، في رأي اطباء العرب، هو التحكم في الغذاء في الدرجة الأولى، واستعمال المبردات (عن طريق الكمادات) لاعادة البرودة الى الجسم اذا ارتفعت حرارته، وبالعكس.

والمألوف أن يوحي لنا اسم طبيب عربي انه هو أيضا فيلسوف، واذا وقعنا على اسم فيلسوف، وجدنا انه هو طبيب أيضا. ولعل سبب هذا هو ارتباط هذين الأمرين الحكمة (الفلسفة) والطب عند الجماعات التي نقل عنها العرب طبهم، فظل التقليد مقبولا عند العرب. وفي عالم الطب والفلسفة عند العرب اسمان هامان: الرازي، الذي كان يسمى طبيب الفلاسفة، وابن سينا الذي عرف باسم فيلسوف الأطباء. والتسمية التي أطلقت على كل منهما لم تأت مصادفة ولم تكن اعتباطية. فقد كان الرجلان طبيبين وفيلسوفين. لكن الرازي، وهو



طبيبان عربيان يفحصان مريضا احدهما يجس نبضه وثانيهما يحاول معرفة درجة حرارته. منقولة عن رسم يرجع تاريخه الى عام ١١٥١م عن كتاب تاريخ الطب عند العرب للدكتور شوكت الشطي.

من أهل القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) كان طبه يقوم على التجربة العلمية. فيما ظل ابن سينا، الذي عاش بعد الرازي بنحو قرن من الزمان، ينظر الى الطب نظرة فلسفية منطقية، حتى ان كتابه «القانون في الطب» مرتب ترتيبا منطقيا.

والرازي تعلم الطب بعد أن تقدمت به السن. فقد كان في مطلع حياته يعنى بالأمور اللغوية والأدبية والفلسفية والموسيقى. وقد دخل بغداد وزار البيمارستان فيها، ورأى وسمع أمورا تتعلق بالغذاء والمرض، فأعجبه الأمر، وانتقل الى صناعة الطب. وبسبب أن الرازي تعرف الى الطب في بيمارستان ظل هذا يؤثر فيه — ويبحث عن التجربة العلمية. وكتابه المشهور «الحاوي» ينقصه الترتيب المنطقي. ذلك أن الرازي كان يدون على وريقات أو جذاذات ما يقع له من أقوال القدماء وآرائهم، ويضيف الى ذلك ما عنده من ملاحظة او تجربة أو خبر أو غذاء لعلاج. ولما توفي الرازي (٣٢٠هـ/ ٩٢٥م)، وكان قد أصيب بالعمى، ظلت هذه الأوراق على حالها. ويروي ابن أبي أصيبعة ان ابن العميد كان السبب في اخراج هذا الكتاب. فقد طلبه بعد وفاة الرازي من اخت هذا، فأظهرت له مسودات الكتاب وأوراقه. فجمع ابن العميد تلاميذ الرازي من الأطباء الذين كانوا بالري، موطن الرازي،



رسم يمثل ابن سينا كما تخيله الفنان

وطلب منهم ترتيب العمل. فظهر الكتاب على هذا الشكل. وعلى كل فللرازي كتاب صغير اسمه «المرشد» أو «الفصول» وهو نتيجة تجارب واختبارات وتدريس للطب ومعاناة ادارة البيمارستان. ولعل المؤلف أراده كتابا يدرسه الطلاب فيفيدون منه في تعلم الصناعة.

والمهم هو أن الرازي الذي كان طلعة في الطب وسريريا ممتازا وتجريبيا في ممارسته وعمله. وقد أورد هو نفسه في كتبه، وفي «الحاوي» خاصة، روايات عن أمور مرت به فدونها ليفيد منها غيره. ومن رواياته ان غلاما قدم الري وهو ينفث الدم وكان ذلك قد لحقه في طريقه. فاستدعى الرازي لعلاجه. فأخذ هذا مجسّة المريض ورأى قارورته، أي فحص حرارته ونبضه وبوله، وسأله عن حاله، فلم يجد ان به سلا ولا قرحة. فتفكر في الأمر. ثم عاد الى المريض يسأله عن الماء الذي شربه في الطريق، فقال انه شرب من صهاريج ومستنقعات. فخطر للرازي ان علقة كانت في الماء استقرت في معدته، وانها هي سبب نفث الدم. وفي اليوم التالي جاء باجانة (أي طست) وقد ملأها من الطحلب. وأمر المريض أن يأكل الطحلب، ولما توقف أرغمه على ذلك. ثم أمره بالقذف. فلما قذف خرجت العلقة وقد لصقت بالطحلب تأكله. فشفي الغلام.

ومع أن هذه الحالة جاءت مصادفة في طريق الرازي، فان الرجل كان يعتمد التجربة والتدقيق في سؤال المريض ليحصل على الحالة الخاصة. وقد جمع «ماكس مايرهوف» أكثر من ثلاثين حالة ودرسها. وفي كل منها كان الرازي يعتمد التجربة في فحوصه، ويتابع سير المرض عند مريضه. «ولم يكن الرازي مقلدا في عمله... بل تفرد برأيه والصدق في تسجيل مشاهداته واختباراته الشخصية».

وكان العلاج الرئيسي عند الرازي هو الغذاء. لكن هذا لم يمنعه من وصف الأدوية، حتى المركبة منها، ويقول هو في ذلك: «لو أمكن كل موضع العلاج بدواء مفرد، لاستغنى عن تركيب الأدوية. لكن يمنع من ذلك خلال. فمن هذه الخلال المحوجة الى تركيب الأدوية انه ربما كان الدواء الذي ينفع من علة ما، أو يقوى عضوا ما، يضر بأخرى، فنضطر أن نركب معه ما يمنع ذلك».

وثمة اشارات كثيرة الى أن الرازي كان يضرب العود دوما، الأمر الذي حمل بعض الباحثين على اعتبار انه كان يستعمل الموسيقى في اغراض العلاج. وليس هذا غريبا على طبيب كان يعنى بدراسة الحالات النفسية (السيكولوجية) لمرضاه.

رأينا أن الرازي غلّب التجربة والاختبار على القواعد الكلية والقياس المنطقي في معالجته الأمراض. وهو طبيب الفلاسفة.

أما فيلسوف الأطباء فهو ابن سينا الذي توفي في عام (٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م) الذي يقول فيه الدكتور جلال موسى: «أول ما يسترعي النظر عند ابن سينا في كتابه «القانون» انه متأثر في تبويب كتابه، وعرض ما اشتمل عليه من حقائق الطب بدراسته الفلسفية والمنطقية. وقد راعى في هذا التقسيم انه يحقق الدقة في حصر مسائل الطب. واهتم ابن سينا في مقدمة كتابه برسم دستوره الطبي في تأليف كتابه. ويتلخص هذا الدستور في الكلام عن الأمور الكلية ثم الأمور الجزئية... وواضح من دستوره الطبي أنه يضع الفلسفة قبل العلم» أي الطب. ويقول ابن سينا في أول كتاب «القانون» رأيت أن أتكلم أولا في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب أعني القسم النظري والقسم العملي. ثم بعد ذلك أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم في جزئياتها. ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو عضو».

لكن ابن سينا الذي غلبت عليه النزعة الفلسفية، كان طبيبا عمليا أيضا. ويتضح ذلك من نظرته الى الجسم البشري. فهو يبدأ كتابه بالتشريح ثم بعلم وظائف الأعضاء أي «الفيزيولوجيا». ثم يعرض لطبائع الأمراض ثم ينتهي الى العلاج.

على أن المجال الذي برّ فيه ابن سينا معاصريه كان في الطب الوقائي. وفي ذلك يقول: «ان الطب علم يعرف منه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصبح ويزول عنه لتحفظ الصحة حاصلة، وتسترد زائلة».

وقد كان للطبيب منزلة محترمة في المجتمع العربي الاسلامي. سواء في ذلك البلاط وعامة الشعب. وقد روى انه «لما كان ينبغي للانسان أن يختار الصناعة اللائقة، ولما كانت صناعة الطب قريبة من الفلسفة، واذن فهي صناعة مفضلة لائقة، أقبل عليها كثيرون». ويفهم من هذا انه كان يطلب من الطبيب أن يراعي، في عمله، قواعد خلقية دقيقة رفيعة. والقواعد التي كان على الطبيب مراعاتها كانت تتعلق بالمظهر، كما كانت ترتبط بالسلوك الخلقي. فقد كان يتوجب على الطبيب أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن. أما في القواعد الخلقية فالمطلوب من الطبيب كان كثيرا. وأول هذه الأمور أن تكون عنايته بعلاج المرض وتعليم الطب أكثر من رغبته فيما يلتمسه من أجر. ويترتب على الطبيب أن يكون سليم القلب عفيف النظر كتوما لأسرار المرضى. وكان ينتظر من الطبيب أن يكون مأمونا ثقة على الأرواح والأموال. فلا يصف دواء قتالا لا يعلمه. ولا يعطي عقارا يسقط الأجنة. وبعبارة أخرى فان تصرف الطبيب يجب أن يكون مثاليا. ولا غرابة في ذلك فهو مؤتمن على الأرواح والأجسام، وحتى تلك التي في الأرحام □



صورة منقولة عن رسم وضع في القرن الثالث عشر الميلادي لثلاثة من الاطباء العرب المسلمين يفحصون مريضا من الوجهاء في مدينة بغداد وقد وقف الى جانب فراشه شاب من أقاربه.

عن موجز تاريخ الطب عند العرب للدكتور شوكت الشطي



جانب من معرض الحرَف والمصنوعات اليدوية المحلية التي شملها المهرجان.